سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى
عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الثانية | العدد (74) | 17 شباط 2013 أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

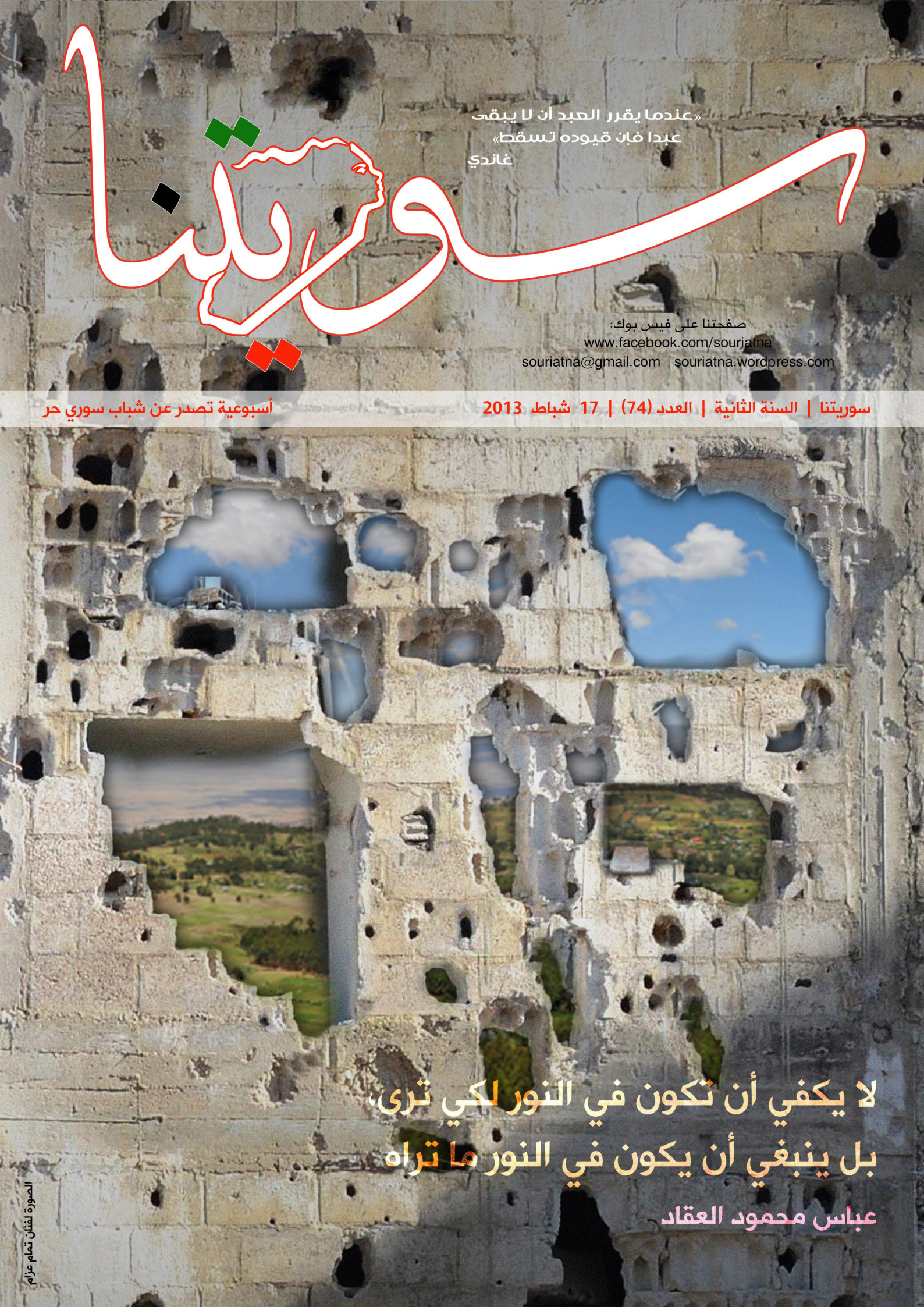

لا يكفي أن تكون في النور لكي ترى،
بل ينبغي أن يكون في النور ما تراه

عباس محمود العقاد

الصورة لفنان تمام عزام

في ظل ظروف معيشية صعبة

11 ألف لاجئ سوري يغادرون الجزائر باتجاه فرنسا وإنجلترا

على الحدود التركية إلى سوريا.. عائدون

غادر الجزائر غالبية اللاجئين السوريين الذين دخلوها شهري يوليو/تموز وأغسطس/آب، إذ أكد آخر تقرير رسمي وصل الحكومة، مغادرة 11623 لاجئاً سوريا من أصل 12 ألف سوري لاجئ في وقت سابق، فيما تحصي إدارات المراكز التي خصصها الهلال الأحمر، بالتنسيق مع وزارة التضامن الوطني 377 مقيماً بطريقة قانونية.

اختفى السوريون من الساحات العمومية والمساجد بمختلف الولايات الجزائرية الكبرى، بعد أن كانوا قد اكتسحوا غالبية الساحات العمومية والمساجد والأسواق، وأحدثوا ضجيجاً جعل الرأي العام يلتفت إليهم ويفرض على الحكومة ضرورة التحرك لإيوائهم في مراكز معلومة تسهل عمل مختلف الأجهزة الأمنية، كما يسهّل تأطير العمل التضامني معهم.

وحسب مصادر "الشروق" فإن ظروف الإقامة والعملية التضامنية التي أطلقتها الحكومة لإيواء اللاجئين السوريين الذين وصل عددهم نهاية شهر يوليو/تموز الماضي 12 ألف لاجئ لم ترق لهم، إذ تؤكد تقارير رسمية مغادرة 11623 لاجئا سوريا الجزائر خلال الخمسة أشهر الأخيرة.

وأشار أصحاب التقرير الذي تم رفعه إلى الحكومة إلى أن التخمينات التي وضعتها السلطات الأمنية لتدفق السوريين على الجزائر الصيف الماضي صدقت، إذ يؤكد التقرير أن الإنزال السوري بالجزائر كان عبارة عن عملية عبور بعيدة كل البعد عن هدف الاستقرار بها، وهو الأمر الذي جعلهم يرفضون ظروف الإيواء التي وفّرتها لهم الحكومة الجزائرية، في سياق برنامجها التضامني والإنساني، وفضلوا اتخاذ الساحات العمومية ملاذا لهم للتسول وتحويل مداخيلهم من التسول إلى عملة صعبة.

اللاجئون السوريون في الجزائر، الذين وصل عددهم 12 ألف سوري نهاية شهر رمضان، أكد التقرير الرسمي، أنهم رحلوا من الجزائر في اتجاه عدد من الدول الأوروبية منها فرنسا وبريطانيا، بعد أن توفرت لهم الظروف، بسبب ما تعيشه دمشق وباقي محافظات سوريا من ظروف أمنية وسورية تجعل طلب اللجوء السياسي في أي دولة من الدول التي تفاخر باحترامها لحقوق الإنسان ممكنا، ومرحبا به، ويبدو من خلال المؤشرات التي تضمنها التقرير أن السوريين اللاجئين لم يجدوا ظالتهم في الجزائر، خاصة أن السلطات تحركت في اتجاه تخصيص مخيمات لإيوائهم، كما رخصت باستقبال أبنائهم في المدارس الجزائرية، وأسقطت عنهم بعض الشروط منها شرط تقديم الوثائق، ذلك لأن غالبية هؤلاء لا يحملون وثائق رسمية.

الإنزال السوري في الجزائر، كان قد أثار مجموعة من المشاكل منها مشكلة انتشارهم في الساحات العمومية والمساجد للتسول، الأمر الذي جعل الحكومة تتحرك عبر مجموعة من الإجراءات العملية الكفيلة بتقليص تدفق السوريين على الجزائر، من بين الإجراءات تقليص الشركة الوطنية للخطوط الجوية الجزائرية، عدد رحلاتها من ثلاث رحلات إلى اثنتين أو أقل في الأسبوع الواحد، مع إلزام السوريين الراغبين في زيارة الجزائر باستظهار تذكرة سفر للذهاب والإياب، مع ضرورة الحصول على وثيقة إيواء.

موازاة لذلك عملت الجزائر على البحث في سبل للتكفل بالسوريين وإيوائهم، لقطع الطريق على أطراف أخرى قد تتدخل للاستثمار في وضعيتهم، من خلال عمليات تضامنية خارج الأطر القانونية تحت غطاء جمع التبرعات لدواع إنسانية.

مغادرة السوريين يبدو أنها خضعت كذلك لروح الاتفاقية الثنائية التي تجمع الجزائر وسوريا، والمتعلقة بتنقل الأشخاص، رغم أنها تسقط التأشيرة على السوريين القادمين إلى الجزائر، إلا أنها واضحة في شطرها المتعلق بمدة الإقامة، وهو الشطر الذي يفرض على كل سوري دخل الجزائر مغادرتها بعد ثلاثة أشهر إلا في الحالات المتعلقة، بالإقامة من أجل الدراسة أو العمل أو أحد الأسباب الذي أعطاه حق الإقامة الظرفية.

إيواء اللاجئين تعتبر عملية مكلّفة جدا بالنسبة لأية دولة مستقبلة، وهو الأمر الذي جعل الأردن يشكو كلفة استقباله لـ33 ألف سوري وهي الكلفة التي قدرها بمليار دولار.

يونيسيف: إمدادات المياه في المناطق المتضررة في سوريا تراجعت إلى الثلث

تراجعت امدادات المياه في المناطق المتأثرة بالعمليات العسكرية في سورية إلى ثلث ما كانت عليه قبل اندلاع القتال، بحسب ما اعلنت منظمة الامم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) الجمعة، محذرة من ان ذلك يزيد المخاوف من اصابة الاطفال بالامراض.

وقالت المنظمة في بيان؛ ان "إمدادات المياه في مناطق النزاع بلغت ثلث ما كانت عليه قبل الأزمة، حيث يحصل السكان في تلك المناطق على 25 لترا من الماء يوميا، مقارنة بـ 75 لترا كانوا يحصلون عليها قبل عامين".

وأضافت ان النتيجة المستمدة من "التقييم الوطني الذي اشرفت عليه اليونيسيف حول قطاعي المياه والصرف الصحي"، تظهر ان اكثر المناطق عرضة للخطر هي ريف دمشق، وادلب ، ودير الزور ، وحمص ، وحلب والرقة.

وأوضحت انه في دير الزور يتم ضخ المياه "بنسبة 10 بالمئة مما كانت عليه قبل الازمة" التي اندلعت قبل اكثر من 22 شهرا.

ونقل البيان عن ممثل المنظمة في سورية يوسف عبد الجليل قوله ان النتائج "تظهر سبب تركيز اليونيسيف على تقديم المساعدة في قطاعي المياه والصرف الصحي"، مشيرا إلى انها بدأت في الشهر الجاري "شحن مليون لتر من الكلور إلى سورية لتوفير المياه الآمنة لأكثر من 10 مليون شخص، وهو ما يعادل نصف سكان البلاد، لمدة ثلاثة أشهر".

واضاف ان "الانتاج المحلي للمواد الكيميائية اللازمة لمعالجة المياه قد توقف تقريبا بسبب النزاع" الذي اودى باكثر من 60 الف شخص، وان الناس باتوا "معرضين لخطر استعمال مياه ملوثة".

وحذر البيان من ان الامر يؤدي إلى زيادة "المخاوف من إصابة الأطفال السوريين بالأمراض نتيجة للأضرار الجسيمة التي لحقت بشبكات المياه والصرف الصحي".

واوضح ان الأطفال والنساء "يواجهون مخاطر صحية وبيئية لأن عمليات معالجة مياه الصرف الصحي انخفضت إلى النصف"، اضافة إلى انخفاض "كبير" في جمع النفايات.

ودفعت العمليات العسكرية والقصف الجوي والمدفعي من جانب النظام السوري؛ باكثر من 700 الف شخص للجوء إلى الدول المجاورة، بينما تقول الامم المتحدة ان قرابة اربعة ملايين شخص يحتاجون إلى المساعدة في داخل سورية. وأشارت المنظمة إلى ان الاطفال يشكلون "50 في المئة من الاربعة ملايين محتاج".

وقالت انها زودت 22 الف شخص بمياه الشرب والمياه للاستخدام المنزلي، اضافة إلى الصابون ومستلزمات النظافة الصحية لأكثر من 225 ألفاً من سكان المناطق المتضررة.

وتسعى المنظمة إلى توفير المياه والمستلزمات إلى 750 الف شخص حتى حزيران/يونيو المقبل، مناشدة الحصول على مبلغ 22، 5 ملايين دولار اميركي لتتمكن من تلبية الاحتياجات.

مازن درويش.. عام من الاعتقال التعسفي

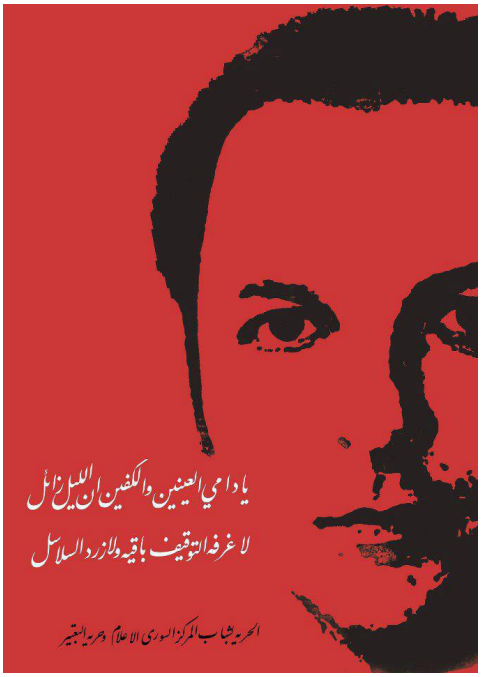

يمر اليوم السبت 16 شباط 2013 عام كامل على اعتقال الزميل الصحفي مازن درويش رئيس "المركز السوري للإعلام وحرية التعبير" مع مجموعة أعضاء المركز. عام من الاعتقال التعسفي في سجون النظام السوري.

بتاريخ اليوم من العام المنصرم داهمت دورية تابعة للمخابرات الجوية مكتب"المركز السوري للإعلام وحرية التعبير" في العاصمة دمشق، واعتقلت الزميل مازن درويش مع 14 ناشطاً وموظفاً، على خلفية نشاطاتهم في الدفاع عن حرية الإعلام والصحافة في سوريا. ووفقاً لمصادر حقوقية تواصلت مع رابطة الصحفيين السوريين، فقد تعرض السيد مازن درويش للتعذيب وغيره من ضروب سوء المعاملة خلال التحقيق معه واحتجازه في مركز اعتقال تابع للمخابرات الجوية في منطقة المزة بالعاصمة، وما زال داخل المعتقل كلاً من مازن درويش وهاني الزيتاني وحسين الغرير، بعد أن أفرجت السلطات السورية عن البقية في أوقات مختلفة.

إننا في رابطة الصحفيين السوريين إذ ندين استمرار اعتقال الزملاء في المركز السوري للإعلام وحرية التعبير، نطالب المنظمات الدولية التدخل من أجل الإفراج عنهم. وضرورة تحريك ملف النظام السوري إلى محكمة الجنايات الدولية، بسبب الجرائم التي يرتكبها بحق السوريين كل يوم، وبحق المعتقلين باستخدام كافة أنواع التعذيب داخل المعتقلات والفروع الأمنية، ليس آخرها مقتل الناشط في المركز أيهم مصطفى غزّول على يد المخابرات الجوية.

وكانت رابطة الصحفيين السوريين قد طالبت في مرات سابقة بالإفراج عن أعضاء المركز السوري الإعلام وحرية التعبير، إلا إن سلطات النظام السوري لم تستجب لأية مطالبات ومازالت مصرة على الاعتقال التعسفي للصحفيين والنشطاء الإعلاميين، وخاصة المدافعين عن الثورة السورية، من بينهم الكاتب السوري حسين عيسو المعتقل منذ 2011/9/3 والناشط الإعلامي شبال إبراهيم المعتقل منذ تاريخ 2011/9/11، والسيناريست عدنان زراعي، والناشط إبراهيم حجي الحلبي (أبو الطيب السوري) المختفي منذ تاريخ 2012/5/12.

يذكر أنه هذا هو الاعتقال الثالث للصحفي مازن درويش، حيث كان الاعتقال الأول على خلفية مشاركته في الاعتصام الذي قام به أهالي بعض المعتقلين في 2011/3/16 أمام وزارة الداخلية يناشدون فيها إخلاء سبيل أبنائهم، وأطلق سراحه في اليوم نفسه. وفي 2011/3/23 اعتقل درويش للمرة الثانية بعد استدعائه للتحقيق على خلفية تصريحات إعلامية أدلى بها حول الاعتقالات في سوريا وأحداث درعا.

مازن درويش من مواليد دمشق 1974، صحفي وناشط حقوقي وعضو في الاتحاد الدولي للصحافيين ومؤسس ورئيس "المركز السوري للإعلام وحرية التعبير". كما يشغل منصب نائب رئيس "المعهد الدولي للتعاون والمساندة" في بروكسل وعضو في المكتب الدولي لمنظمة "مراسلين بلا حدود".

رابطة الصحفيين السوريين
دمشق 16 شباط 2013

كتاب العدد لهذا الأسبوع:

أعاصير دمشق

فضل الله أبو منصور

كتاب يوثق للانقلابات الثلاث التي هزت سوريا في منتصف القرن الماضي، يعد مرجعاً لتلك الفترة وهو من الكتب النادرة.

الشكر الجزيل لمكتبة أبو عبدو البغل

أوجاع وطن

صفقة تبادل الأسرى بين ثقافة الرقم والتعامل بواقعية مع الواقع

■ أحمد صلال

مقدمة لابد منها..

في البدء لا بدّ من تثمين صفقة تبادل الأسرى بين الجيش السوري الحر – جيش الاحتلال الأسدي، كونها أعادت حرية مئات الناشطين السوريين ممن قضوا فترات طويلة وفقدت الثورة شيء من زخمها الكارثي نتيجة غيابهم.

يمكن محاكمة هذه الصفقة على عدة مستويات لنستخلص أبجديات نتائج يمكن بناء مقدمات عليها لنخلص إلى نتائج مثمرة.

ثقافة الرقم..

صفقة تبادل الأسرى تستحضر تجربة حزب اللّه - إسرائيل من مناحي الكم العددي حيث كانت اتفاقية تبادل الأسرى بين الجيش السوري الحر - جيش الاحتلال الأسدي تنصّ على تحرير أكثر من2000معتقل وناشط سوري مقابل ما يزيد على48 مواطن إيراني فقط، هنا تظهر الدلالة الرقمية من حيث تفوق ربحي للجيش الحر على خصمه جيش الاحتلال الأسدي، ومن جهة الدلالة النوعية تظهر تفوق لجيش الاحتلال الأسدي على الجيش السوري الحر حيث أنّ رعايا الدولة الإيرانية يستبدلون بحيوات آلاف الرعايا السوريين. مما يكرّس قيمة المواطن الإيراني في ثنائية تحيل قسراً لإضعاف قيمة المواطن السوري، وهذه هي نفس الرسالة التي دأبت إسرائيل خلال تاريخ مبادلتها مع العرب على تكريسها.

تعرية الواقع..

صفقة تبادل الأسرى تضع الأمور في نصابها الحقيقي من حيث النظام في سوريا قوة احتلال وليس مصدر شرعية مكتسبة ولا حتى على الصعيد القانوني الدولي، حيث عامل هذه النظام رعايا سوريين على أنهم رهائن وليس معتقلين لدى مؤسساته الأمنية التي يسميها «الجهات المختصة»، ويقوم بعقد صفقة مع قوة مقاومة شعبية - ثارت على فقدانه شرعيته واستلابه لدواخله الشعبية واستتبعه للخارج ضمن أجندة تفقد القرار الوطني أحقيته ومشروعيته - أخلى النظام في نتيجتها عن رعايا دول أخرى - وهنا يظهر استخفاف النظام بحيوات السوريين كل السوريين والإعلاء من شأن الإيراني كنخبة مفضلة لديه ذات قيمة كمية ونوعية ويظهر تبعيته اللا متناهية للنظام الإيراني كخارج غير، ذو بعدو وطني متحكم بالقرار الوطني ومستلبه ومجنده لخدمته.

خلاصة..

كان على الجيش السوري الحر وضع قائمة تناهز قائمة الأسرى الإيرانيين ممن حياتهم مهددة ومضى على اعتقالهم فترات طويلة مثل حسين الهرموش ومازن درويش والدكتور عبد العزيز الخير، ومقايضتها بالأسرى الإيرانيين لتكريس وجوده للجيش الحر كقيمة حافظة للنوع السوري بما يستتبعه من قيمة ومواطنة وأحقية تحفظ قيمته ووجوده وهويته ولا يسمح أن تكون مهددة بنوعية نخبوية لخارج إيراني، ويكسب الجيش السوري قيمة جوهرية عبر تحقيقه لذلك، وقيمة مضافة عبر تكريس شعارات الثورة واقعاً معيشاً عبر انتهاج شعارات الثورة ومطالبها، وعلى الصعيد الآخر لا يخفى على أحد مماطلة النظام وكذبه حيث أن عدد كبير من الأسرى لم يفرج عنهم وتركوا عتمة سجون وأقبية أمن النظام نتيجة تسليمه للإيرانيين قبل تنفيذ النظام لوعوده.

معرض في بلجيكا جميع لوحاته مستلهمة من أفلام فيديو الناشطين السوريين

يقف الرسام البلجيكي ديريك ايلن وسط معرضه الذي استلهم جميع لوحاته من فيديوهات الناشطين المعارضين في سوريا، ويفكر بصوت عال كيف أن كل هذا المعرض لم يكن ليوجد لو استسلم لشكه وتردده حول أحقية تناوله هذا الموضوع، فكل ما يجمعه بسوريا هو ذكريات طيبة من زيارة قام بها قبل عشر سنوات.

فبعد اندلاع ثورات "الربيع العربي"، وجد ايلن نفسه مدفوعا بتلك الذكريات يبحث عن أخبار سوريا، لذلك لجأ إلى مشاهدة الافلام التي يبثها الناشطون السوريون وتتبعها.

لكن هذه الافلام توقفت عن كونها مجرد "نشرة أخبار" لاشباع اهتمام هذا الفنان، إذ يقول في حديثه لوكالة فرانس برس "كانت تلك الافلام لا تغادر تفكيري فبدأت أنجز بعض الرسومات حولها".

لم تكن صوراً متقنة ولا صافية، لكنها لهذه الاسباب شغلت بال ايلن لجهة "الغموض" الذي حملته. ويضيف: "رغم أنها صور تهتز كثيرا، ولا يمكنك أن تعرف تماما ما يحدث، لكنك تشعر كما لو أنك وسط الناس".

مع مرور الوقت وجد نفسه أمام مفترق طرق، يقول "ترددت كثيرا"، فمن جهة حملت إليه فيديوهات الناشطين طاقة الهام كبيرة، لكنها من جهة أخرى قادمة من بلد وحدث لا ينتمي اليهما فعليا.

لكن هذا الشك تبدد بعدما عاد من سفر، ونظر إلى لوحة رسمها لطفل سوري كان بين القتلى المتظاهرين في أحد الفيديوهات. في تلك اللحظة حسم قراره، ويقول "اللوحة خطفت أنفاسي، ولم أستطع النظر اليها مجددا. عندي ثلاثة أطفال، وبدأت أفكر بمعاناة الاطفال هناك". ويضيف: "عندها عرفت أني يجب أن أكمل هذه الرسوم وأفعل بها شيئا".

هذه اللوحة تتوسط صالة المعرض، الذي يحمل عنوان "سوريا كما ترى في اليوتيوب"، وفي جوارها لوحة التقطت صورة قريبة لطفلة جريحة تنظر إلى الكاميرا. إنها لحظات مختلفة اختار الرسام تثبيتها من الافلام، تبدو بعضها كما لو أنها لوحات انطباعية وتعبيرية، فهناك مناظر لطبيعة صامتة أو جانب من شوارع، أو مجرد كتلة من أبنية وطبيعة وخلفها دخان يتصاعد.

حاول الفنان "نقل الاحاسيس الموجودة في تلك الافلام"، وفي المعرض ما يحيل مباشرة على الحدث السوري كما حال لوحة تلتقط لحظة هجوم مجموعة من عناصر حفظ النظام بهراواتهم على متظاهر، أو لوحة أخرى لجمع من المتظاهرين في قرية سورية، يرفعون ايديهم باتجاه ضوء قوي مسلط عليهم من منصة احتفال.

ويمكن فهم "قوة الالهام" والغموض الذي حملته تلك الافلام عند رؤيتها من وجهة النظر التي يعرضها الفنان، فوجود الكاميرا يعني أن شيئا ما سيحدث، ويكون كادرها يهتز ويتلفت طول الوقت باحثا عن ذلك الشيء، او أنها توجد في قلب شيء ما يحدث مصحوبة بصوت مصور يلهث.

يسقط مصور الفيديو، ومن عدسته يبدو جرحى حوله في شارع، وهو ما التقطته لوحة حرص الفنان على ابقاء منظرها مائلا.

المعرض أقيم بجهود شخصية من ايلن، استأجر صالة عرض حديثة هي واحدة من الهنغارات الضخمة التي كانت تستخدم سابقا لتخزين البضائع في منطقة "اندرليخت" من بروكسل، وبعد اعادة ترميمها صارت صالة عرض مميزة يقسمها إلى ضفتين مجرى ماء ضيق يخترق وسطها.

في جانب من الصالة كان الرسام وصديقته يوضبان على طاولة نسخا من اللوحات، وبطاقات بريدية منها، ويبيعانها للزوار، فيما تصدح موسيقى لآلة العود، وهي مقطوعات للعازف العراقي، السوري المولد، خيام اللامي الذي أدى عزفا حيا في افتتاح المعرض الاسبوع الماضي.

أراد ايلن رفع الايرادات ما أمكن، فإضافة إلى تغطية التكاليف سيتبرع بريع المعرض لمساعدة اللاجئين السوريين عبر منظمة الصليب الاحمر الدولية.

نصف اللوحات كانت مباعة بعد اربعة ايام من المعرض، واسعارها تراوحت بين ألف وأربعة آلاف يورو.

الصحافة البلجيكية اهتمت بما فعله ايلن، وأجرت كبرى صحف ومجلات بلده الناطقة بالهولندية مقابلات وتغطيات للمعرض.

وتحدث الفنان عن المرحلة الاولى التي رصدتها افلام فيديو الناشطين، عندما سادت التظاهرات السلمية، وقال انه كان يشاهد "فيديوهات مليئة بالامل"، ولم يكن يمانع برؤية "مائة فيديو تباعا"، لكن مع انتقال الحراك السوري ليتحول إلى صراع مسلح جراء القمع الدموي للنظام، صارت الفيديوهات قاسية.

لكنه لا يستثني نفسه خارج سياق الموضوع السياسي للحدث الذي يشغله، فهو يستغرب كيف يمكن للعالم "ان يبقى متفرجا" ولا يتدخل لإيقاف القتل وما يقوم به النظام السوري، ولهذا يقول إن لفت اهتمام ولو بضعة أشخاص إلى الصراع ومعاناة المدنيين، من خلال المعرض، يستحق بذل الجهد.

عمل بعنوان: خيمة - للفنان: تمام عزام

الأمم المتحدة: ارتفاع عدد اللاجئين السوريين إلى لبنان إلى أكثر من 283 ألفاً

أعلنت المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين في لبنان، في تقريرها الأسبوعي، أن عدد اللاجئين السوريين في لبنان ارتفع إلى أكثر من 283 ألف لاجئ.

وأوضح التقرير، الذي نشرته وكالة الأنباء الألمانية (د ب ا)، أن «هناك أكثر من 283 ألف لاجئ سوري يتلقون الحماية والمساعدة من الحكومة اللبنانية والأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية الشريكة».

وأشار التقرير إلى أن «من بين هؤلاء، هنالك نحو 185 ألف شخص مسجلين لدى المفوضية، إضافة إلى 98 ألف شخص في انتظار حلول موعد تسجيلهم».

وعقد وزراء الخارجية العرب، الشهر الماضي، بطلب من لبنان، اجتماعا وزاريا طارئا لبحث أزمة اللاجئين السوريين والفلسطينيين على أراضيه، وقرر إيفاد بعثة إلى لبنان والأردن والعراق للوقوف على أوضاع النازحين السوريين واحتياجاتهم والتنسيق مع الجهات المعنية لتقرير حجم المساعدات المطلوبة.

ولفت التقرير إلى أن «المفوضية قامت بتسجيل أكثر من 10000 لاجئ سوري منذ الأسبوع الماضي، مشيرة إلى أن «وتيرة اللاجئين الذين يدخلون لبنان لا تزال ثابتة نسبيا، مع استمرار الغالبية بالوصول من حمص إدلب ودمشق وحلب».

كما أشار التقرير إلى أن «غالبية اللاجئين السوريين (87887 لاجئ) يتمركزون حاليا في شمال لبنان، فيما يبلغ عددهم في البقاع شرق لبنان 71291 لاجئ».

وسجل عدد من الوزراء اللبنانيين مواقف مطالبة بإغلاق الحدود اللبنانية - السورية بوجه النازحين السوريين إلى لبنان لما له انعكاسات على الأوضاع اللبنانية، وذلك بعد نزوح الكثير من السوريين ولاجئين فلسطينيين خلال الأسابيع الماضية، إلا أن رئيس الحكومة اللبناني نجيب ميقاتي أعلن أن الحدود مستحيل أن تغلق» بوجه النازحين، مشيرا إلى أن بلاده «لن تنأى بنفسها عن الجانب الإنساني»، كما أعلن الرئيس اللبناني ميشيل سليمان مواقف مشابهة لمواقف ميقاتي.

ويشهد لبنان تدفقا كبيرا للنازحين السوريين، هربا من أعمال القصف والعنف التي تشهدها مناطقهم، موزعين على مختلف المناطق اللبنانية وغالبيتهم في مناطق شمال لبنان، حيث أعلنت الحكومة اللبنانية أنها غير قادرة على تحمل أعباء احتياجات النازحين، طالبة من المجتمع الدولي تقديم مساعدات لها.

المفوضة الأممية لحقوق الإنسان تدعو مجلس الأمن للتحقيق مع الأسد بجرائم حرب "استنادا إلى أدلة"

دعت مفوضة الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان نافي بيلاي السبت إلى التحقيق مع الرئيس بشار الأسد فيما يتعلق بارتكاب "جرائم حرب استنادا إلى أدلة"، مطالبة المجتمع الدولي باتخاذ إجراء فوري بما في ذلك إمكانية التدخل العسكري، وكررت دعوتها لإحالة الوضع في سوريا إلى المحكمة الجنائية الدولية بسبب ما وصفتها بـ "جرائم ضد الإنسانية".

وقالت بيلاي في تصريح للقناة الرابعة الإخبارية البريطانية، نقلته وكالة رويترز، إنه " يجب التحقيق مع الأسد، هذه هي الدعوة القوية التي أطلقتها قبل 18 شهرا، استنادا إلى الأدلة قلت إن قوات الرئيس الأسد وقواته الأمنية وجماعات أخرى متحالفة معه ترتكب جرائم ضد الإنسانية وجرائم حرب في سوريا".

وأضافت أنه "يجب أن يحيل مجلس الأمن الأمر إلى المحكمة الجنائية الدولية، هناك أدلة على ارتكاب الأسد جرائم ضد الإنسانية وجرائم حرب ضد شعبه"، لكنها لم تتطرق إلى توضيح ماهية هذه الأدلة التي تحدث عنها.

وجددت مفوضة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان الشهر الماضي دعوتها مجلس الأمن الدولي إلى "إحالة الملف السوري للجنائية الدولية "، مشيرة إلى أن "الجرائم قد ارتكبت في البلاد ولا تزال ترتكب ويجب التحقيق فيها".

وشكلت مفوضة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان عدة لجان تحقيق فيما يخص الوضع في سوريا، منها ما تناول ما يجري على الأرض عامة، وبعضها اختص بمجازر معينة، وخلصت تقارير هذه اللجان إلى تحميل المسؤولية الأولى للنظام، وبدرجة أقل للمسلحين المعارضين، إلا أن السلطات السورية ترد دائما على هذه التقارير باتهامها بالانحياز وتنفيذ أجندات لجهات دولية معينة ضمن ما تصفها بـ"المؤامرة".

ويأتي ذلك في وقت دعت العديد من الدول الغربية إلى إحالة الملف السوري إلى الجنائية الدولية التي أكدت مرارا أنها لا يحق لها بدء التحقيق في اتهامات بشأن ارتكاب جرائم في سوريا لأنها ليست دولة عضو فيها، إلا في حال حصول تفويض من مجلس الأمن الدولي.

وفشل مجلس الأمن الدولي منذ نحو عامين في التوصل إلى اتفاق على أي قرار يخص الشأن السوري، ففيما تتهم الدول الغربية روسيا والصين بحماية النظام السوري، ترد الأخيرتان باتهام الغرب بمحاولة التدخل في الشؤون السورية.

وقالت بيلاي إن "مجلس الأمن لديه مجموعة من الأدوات للفصل بين الجانبين المتحاربين للسماح بإجراء مفاوضات"، داعية إلى "إجراء دولي عاجل في هذا الإطار، بعد سقوط نحو 70 ألف قتيل منذ بدء الأحداث في آذار 2011".

وأوضحت بيلاي أنها لا تدعو لأي تدخل معين، "إلا أن على الحكومات أن تحدد الإجراء الذي ستقوم به.. تدخل أم حفظ سلام أم تدخل عسكري أم إحالة إلى المحكمة الجنائية الدولية، ندعو إلى اتخاذ ذلك الإجراء على الفور. "

ولفتت إلى أنه بعد تدخل الأمم المتحدة في ليبيا عام 2011 والذي أدى إلى الإطاحة بالزعيم السابق معمر القذافي تمانع بعض الدول الأعضاء في مجلس الأمن الدولي في استخدام القوة مرة أخرى.

وتقول المعارضة ودول عديدة إقليمية وغربية إن الدعم الذي يلقاه النظام من روسيا والصين يعود إلى أسباب جيوسياسية أكثر منها مبدئية، حيث تعد سوريا آخر مناطق النفوذ الروسي في المنطقة وأحد أهم زبائن الأسلحة، فيما تقول الدولتان إنهما تريدان ترك القرار للسوريين في مصيره، دون تدخل خارجي.

تقرير إعلامية أيام الحرية
الأسبوع الثاني من شباط 2013

أيام الحرّية

إعداد: نسيبة هلال

ما هو مستقبل الوضع في سوريا؟؟

سؤال يطرق بالنا جميعاً، ومع اختلاف آرائنا وأفكارنا، تظهر فكرة التنوع الخلاق، فمع المضي في الثورة يظهر حل التفاوض كحل آخر نفكر فيه، فمادام الحل يصر على أهداف الثورة والهدف منه تخفيف معاناة الشعب السوري، فلم لا يكون مطروقا؟

هذا ما نشرته أيام الحرية في منشورها هذا الأسبوع بعنوان: ليش لازم يكون في حل واحد؟ التفاوض كمان حل.

كما أصدرت منشورها ضمن سلسلة الدعم النفسي بعنوان: خطوات للقائمين على رعاية أطفال تعرضوا للصدمة، المنشور الأول، والذي يتحدث عن توفير ثلاثة أمور هي الأهم في هذا الموقف، وهي: الأمان، الدعم، التوازن، التي يمكن توفيرها عن طريق تعريف الطفل بالأماكن الآمنة في حال حدوث خطر ما، وإخباره ما لذي يمكن أن يحدث من الخطر ليجهز نفسه.

و ضمن سلسلة مناشير أيام الحرية بعنوان «هذه حقوقي» صدر منشور جديد يتحدث عن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان المادة التاسعة والتي تتضمن، انه لا يجوز القبض على أي إنسان أو نفيه تعسفيا، فكم من معتقل لا يعرف أهله طريقهم إليه حتى الآن!

و بما أن الاعتقالات ازدادت مؤخرا بين الناشطين، لذلك أصدرت أيام الحرية منشورا بعنوان: «إذا اعتقلوك شو بتعمل» فيه توجيهات للناشطين بكيفية تصرفهم أثناء الاعتقال والتحقيق والتعذيب.

كما تابعت «حركة وعي» في حملتها «كتاب بثورة» مناقشتها لكتاب «شروط النهضة» للمفكر الجزائري «مالك بن نبي» وهو يتحدث عن الحضارات كيف تبدأ، فالقوة والانطلاقة تكمن في الفكرة الدينية والمبدأ الأخلاقي، وحين رفع ثوار سوريا شعار: «اللّه أكبر، لن تركع إلا للّه» كانوا يشعلون ثورة عظيمة قائمة على الحق والعدل، فتحرروا من خوفهم، ورموا قيود الحياة بعيدا، مضحين بكل شيء في سبيل الحرية الحقيقية.

شاركوا معنا في صنع وطن حر، بعيدا عن القيود العقلية، والخوف.

شاركونا صنع الحضارة، بالثورة على ما في نفوسنا من أفكار أنتجت الطغيان.

ثورتنا على أفكارنا أولاً، ثورتنا على الاستبداد في عقولنا وقلوبنا، وفي كل مكان آخر، فشاركونا الثورة نحو مجتمع يضمن حقوق الجميع.

لنشارك بالثورة، و لنغرس كل ما نستطيع من الفسائل لنبني الوطن.

الثورة السورية ثورة تاريخية عظيمة - مع أيام الحرية شاركنا الثورة

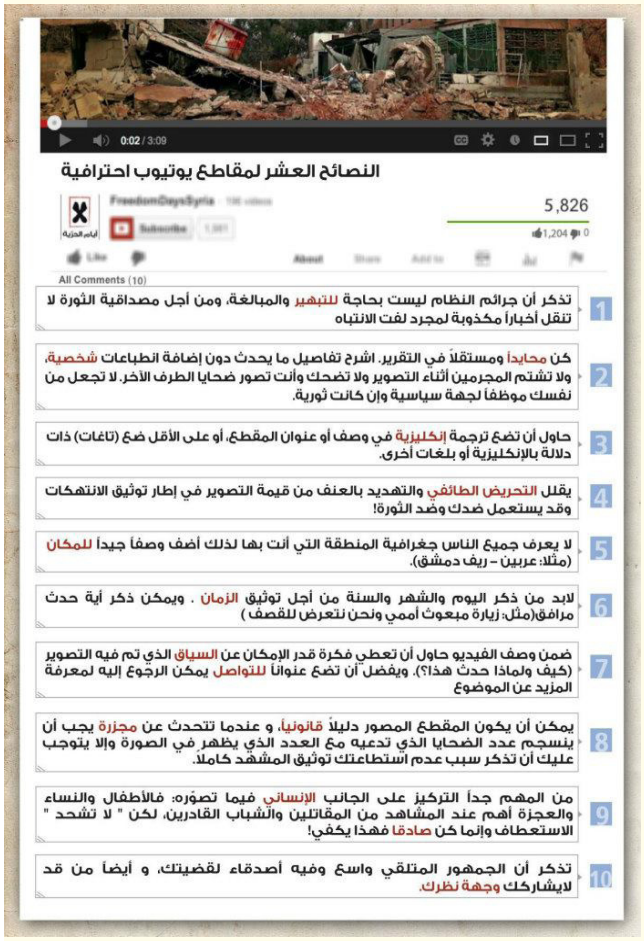

زيارة الكاردينال الراعي

بين العداوة والمصالح وبين الروحي والسياسي

■ ياسر مرزوق

عن أستاذ التاريخ الاجتماعي "بيار فيلار" أنقل: "أن تفكر سياسياً بشكل صحيح هو أن تفكر تاريخياً أيضاً بشكل صحيح" فالعلاقة بين التاريخ والسياسة علاقة استراتيجية متينة جاوزت الترابط الشكلي والهامشي إلى عمق الحدث وجوهره.. فكثيرة هي الأحداث التي لا يملك إزاءها المحلل، ضمن الإطار الموضوعي لها إلا تفسيرها على ضوء الماضي أو بمعطيات التاريخ.. فالخلفية التاريخية إذاً تلعب دوراً رئيسياً في تكوين شخصية الأمة والأجيال تساعد بقدر بعيد على توجيه الأحداث ودفعها في مسارٍ معين.

من هنا ومن قراءة للتاريخ يأتي ملفنا اليوم عن زيارة الكاردينال مار بشارة بطرس الراعي إلى سوريا، وكنا قد ختمنا ملفنا السابق بالحديث عن شرعية فقدها النظام، لتأتي زيارة الراعي زيارة سياسية بامتياز، توحي بشرعية مسيحية ضن بها البطاركة الموارنة عن أي نظام حكم سوريا منذ الاستقلال، الزيارة التي وصفتها النهار اللبنانية بالزيارة المسمومة، أو الملعونة، أتت مخالفة لتراث الموارنة اللبنانيين، فالموارنة المنسجمون مع الجبل الذي حاز وضعية خاصة عبر التاريخ وللدقة منذ أواسط الحكم الإسلامي للمنطقة، وحوّل الانتماء والهوية لإشكالية يعيشونها حتى يومنا هذا، وفي ظل المقتلة التي تعيشها سوريا تأتي زيارة الراعي، كسابقة من حيث الأهمية والتوقيت، وادعاء الروحية فقط أو الرعوية كوصفٍ للزيارة منافٍ للصواب، فبكركي ومنذ تأسيسه كان ولا يزال اللاعب الأكبر في السياسة اللبنانية.

أصل الموارنة:

يخبرنا البطريرك "إسطفان الدويهي" أحد المؤرخين الموارنة في كتابه "تاريخ الطائفة المارونية" عن أقوام كانت تستوطن الجبال بين مدينة انطاكية وسهل قلقيلية المحاذي لبلاد الروم عرفهم العرب باسم الجراجمة وعرفهم الروم باسم وتعريبه "المردة" وأن هؤلاء كانوا في الأصل من عشائر بر الاناضول أو ما يليه شرقاً من بلاد آسيا الصغرى وأن الموارنة في الأصل من الجراجمة أي المردة، و أن البطريرك يوحنا مارون نقل مركزه عام 685 م إلى جبل لبنان وكان الجراجمة يسكنون في الأطراف الجبلية من بلاد الشام، ومنها لبنان عندما كانوا يقومون بغاراتهم على البلاد واستقروا في قرية كفرحي من بلاد البترون هرباً من الغارة التي شنها على عسكر الروم في ذلك العام على دير مارون في وادي العاصي وأن الروم تمكنوا في هذه الغارة من تخريب وتدمير دير مارون وقتل خمسمائة نفر من رهبانه ثم لحقوا بالموارنة الهاربين إلى لبنان مع بطريركهم فهزمهم هؤلاء في أميون على مقربة من طرابلس حيث سقط قائدان من الروم وشيدت كنيسة على قبرهما حيث دفنا في الكنيسة وأن الكنيسة شيدها الملكية أنصار الروم وليس الموارنة ومنطقة أميون - الكورة ما زالت حتى اليوم المأهولة من الطائفة الملكية وأن قائد الموارنة في معركة أميون كان مقدم المردة المدعو إبراهيم وهو ابن أخت يوحنا مارون، والواقع أن هؤلاء الجراجمة استمروا مقيمين في تلك المنطقة بعد الفتح الإسلامي للشام وبقوا في الوقت ذاته على صلة عسكرية بالروم بعد جلائهم عن البلاد فتكررت غاراتهم على وادي العاصي ولبنان وغير ذلك من الأطراف الشامية في عهد الخلفاء المتقدمين من بني أمية.

أما أصل كلمة "مارون" سرياني وهي تصغير لكلمة "مارو" ومعناها السيد والتصغير هنا للتحبب كما يقول "فيليب حتي" في كتابه "لبنان والتاريخ" صفحة 301 غير أن الكلمة ارتبطت في مطلع القرن الخامس الميلادي بذاك الراهب الذي عاش في منطقة شمال سوريا حياة النسك والتزهد متأثراً بالقديس "يعقوب النصيبيني" الذي عاش حياته في العراء.

راجع الأب "بطرس ضو" في كتابه تاريخ الموارنة.

يقول الكبير "شارل مالك": أعطى الموارنة، لبنان، شعبا وتراثا وقيما. لا يمكن فصل شعب لبنان وقيمه وتراثه عن جبل لبنان. الجبل دمغ الشعب دمغاً، وأسهم بشكل حاسم في تكوين تراثه وقيمه.. الساحل أيضاً، بانفتاحه غرباً، دمغ شعب لبنان، لكن لبنان لا يتفرد بساحله، لأن سوريا وإسرائيل ومصر وتركيا لها أيضاً سواحلها، بينما ليس لأي من هذه البلدان جبلها الفذ الدامغ.

عندما أقول ان الموارنة أعطوا لبنان بشعبه وتراثه وقيمه، لا أعني ان الفئات الأخرى بتراثها وقيمها هي ملك للموارنة. إن ما أعنيه أن الفئات جميعاً أعطيت بعضها لبعض بمجرد تواجدها في بلد واحد تتفاعل فيه بعضها مع بعض. بهذا المعنى لبنان، بشعبه وتراثه وقيمه، أعطي للدروز وللسنيين وللشيعة وللأرثوذكس وللكاثوليك الملكيين ولجميع الفئات الأخرى التي تتكون منها الأسرة اللبنانية، لكنه أعطى أيضاً للموارنة. من هنا مسؤوليتهم الهائلة تجاه الآخرين المعطون لهم. اني استفرد هنا إعطاء لبنان للموارنة لأننا في صدد الكثير المعطى لهم، وبالتالي في صدد الكثير المطلوب منهم بالذات.

يقول كريم بقرادوني: "الماروني القوي هو أفضل ضمان لوحدة لبنان وليس هو الحل الذي يفيد المسلمين ولبنان والعرب وأن قوة لبنان بقوة اللبنانيين من مسلمين ومسيحيين وليس بضعفهم ولمواجهة إسرائيل وأن الماروني الضعيف هو الممر السهل إلى الفتنة والتبعية للخارج".

واتفق الموارنة على القول بأن المؤسس الأول للطائفة هو البطريرك "يوحنا مارون" "بطل القومية المارونية وباني موطنها على جوانب وادي قاديشا وفي ظلال الأرز.. وفي عهده برزت أولى خصائص القومية التي جعلت هذ الشعب أمة" على حد تعبير فيليب حتي.

ومنذ تأسيس الكنيسة المارونية كانت على خلاف مع الكنيسة الأم عقائدياً، إلا أن كنيسة روما تحايلت بعد ذلك عليهم في سبيل تقريبهم منها حيث قام البطريرك الماروني أرميا العمشيتي بزيارة لروما حوالي سنة 1113م وعند عودته أدخل بعض التعديلات في خدمة القداس وطقوس العبادة وسيامة الكهنة. ولقد زاد التقارب بينهما حتى بلغ في عام 1182م إعلان طاعتهم للكنيسة البابوية، أما في عام 1736م فقد بلغ التقارب حد الاتحاد الكامل معها فأصبحت الكنيسة المارونية بذلك من الكنائس الأثيرة لدى باباوات روما.

وعبر التاريخ استفاد الموارنة من علاقات مهادنة مع المحيط الاسلامي، وعلاقات ممتازة مع أوروبا ضمنت لهم تميزاً على صعيد التعليم والتجارة والصرافة

وفي عام 1859 انفجر الصراع الدامي بين الدروز والموارنة وكان السبب المباشر لهذا الصراع واهياً وغير ذي أهمية شجار عادي بين درزي وماروني من بيت مري، أتى الموارنة إلى جبل الشوف خلال القرنين السابع عشر والثاني عشر حيث تعهدوا الأرض لدى الدروز وأن الموارنة مدينون في نجاحهم هذا إلى الأمراء الشهابيين الذين كانوا مسلمين وبعدها اعتنقوا الديانة المسيحية المارونية وفي سنة 1860 تدخلت فرنسا لحماية الموارنة "وبريطانيا لحماية الدروز". وقد حافظ الموارنة على امتيازاتهم في التاريخ الحديث.

يوضح باتريك سيل الجديد في كتابه «رياض الصلح والنضال من أجل الاستقلال العربي» الدور الماروني في صياغة الدستور اللبناني الأول:

"قبل الحرب العالمية الأولى، كان موارنة جبل لبنان أكثرية واضحة، يشكلون 58 في المئة من مجموع السكان، مقارنة بنحو 12 في المئة للأرثوذكس، و11 في المئة للدروز، و8 في المئة فقط للسنة والشيعة معاً. لكن طرأ على التركيبة الطائفية تغيّر كبير في سنة 1921. فبإضافة الأراضي الجديدة، أصبح الموارنة الذين يعدّون 176، 000 نسمة يشكلون 31. 3 في المئة من إجمالي السكان. وشكلت الطوائف المسيحية مجتمعة، التي بلغ عددها 300، 000 نسمة، 53. 4 في المئة من إجمالي السكان، أي بزيادة قليلة على المسلمين "السنّة والشيعة والدروز" الذين بلغ عددهم 262، 000 نسمة، ونسبتهم 46. 6 في المئة.

رفض غالبية المسلمين السنة والشيعة المقيمون في المدن الساحلية، والأقضية الأربعة الداخلية الانتداب الفرنسي، وتمرّدوا رسالة إلى موسى نمّور، رئيس اللجنة الدستورية، يبلغه فيها رسمياً أن المسلمين يرفضون أي صلة بالترتيبات المؤسساتية الجديدة.

غير أن إنجازات رياض الصلح العالمية الكبيرة لم تكن كافية لخرق حصن التفوّق الماروني في بلده. ففي لبنان، صاغ دستور 1926، الذي أوحى به الفرنسيون، الإطارَ المؤسسي للحياة السياسية؛ ووضع رئيس الجمهورية الذي مُنح سلطات تنفيذية كاملة، في قلب النظام. وكان هذا الرئيس مارونياً دائماً، باستثناء أول شاغل للمنصب، شارل دباس "1926 - 1932"، الذي كان ينتمي إلى طائفة الروم الأرثوذكس. فباستطاعة الرئيس أن يسمّي الوزراء ويقيلهم، وأن يحل البرلمان، وأن يحكم عن طريق المراسيم إذا شاء. كانت سلطته مطلقة على الورق، لكنّه يخضع لإرادة المفوّض السامي الفرنسي من الناحية العملية.

أعلن دستور 1926، الذي صيغ على نسق دستور الجمهورية الثالثة في فرنسا لسنة 1875، لبنان الكبير جمهورية مستقلة عاصمتها بيروت. وفي اعتراف بالطوائف والمجموعات المتنوعة في البلاد، أقرّت المادة 95 أنه "بصورة مؤقتة.. تُمثل الطوائف بصورة عادلة في الوظائف العامة وفي تشكيل الحكومة». وقد أبقت هذه المادة على النظام الطائفي الموروث من المتصرفية العثمانية، لكنها لم تفعل الكثير للحدّ

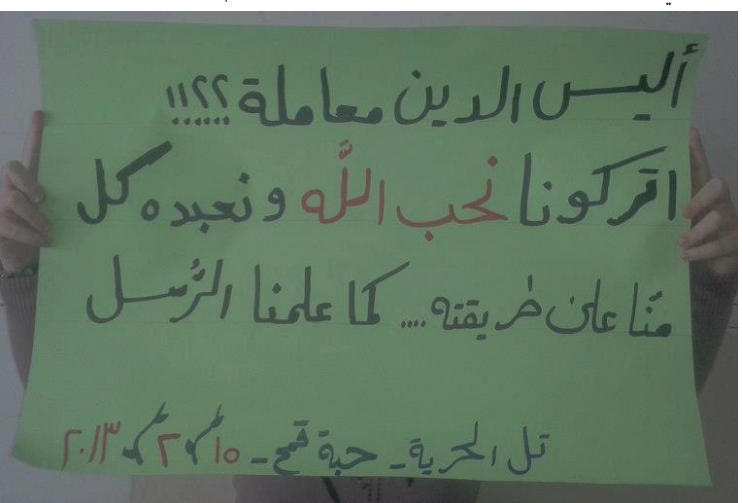

من الهيمنة المارونية التي تدعمها فرنسا. ولم يبدأ المسلمون بانتزاع قدر من السلطة التنفيذية من الموارنة إلا عندما عُيّن رئيس وزراء سني في 1937، على الرغم من أن رئيس الوزراء، على غرار جميع الوزراء الآخرين، معرّض دائماً لخطر الإقالة الاعتباطية من قبل رئيس الجمهورية".

منذ عام 1943م حتى اليوم استقر الأمر بأن يكون رئيس الجمهورية اللبنانية من الطائفة المارونية وذلك بموجب الميثاق الوطني الذي تم فيه الاتفاق شفوياً بين المسلمين والمسيحيين حول توزيع المناصب الرئيسية للدولة اللبنانية على مختلف الطوائف الدينية فيها.

سقوط المارونية السياسية:

عام 1958 تعرض العرش الماروني للاهتزاز إثر قيام الوحدة السورية المصرية، وعاش الموارنة هاجس الذوبان في البحر العروبي، ووصفوا حينها بتيار الانعزال إلا أن التدخل الأمريكي المباشر، وفشل تجربة الوحدة ذاتياً، دعم من نفوذ الموارنة السياسي والاقتصادي خاصة بعد هرب رؤوس الأموال السورية إلى بيروت هرباً من شبح التأميم، يخبرنا الأديب الياس خوري وعلى لسان "نصري" أحد أبطال روايته "سيناكول" عن حرب 1958 قائلاً: "شوية زعبرة بكرة بيجو الأمريكان وبيحلوها".

وفي عام 1976 ومع اندلاع الحرب الأهلية قرر حزب الكتائب إرسال مبعوث إلى إسرائيل ليعمل على ضمان تدفق متواصل للأسلحة من إسرائيل إلى القوات المسيحية، وطلب زعيم الكتائب بيير الجميل، من مبعوثه الخاص جوزيف أبو خليل وهو رئيس تحرير صحيفة العمل الكتائبية التوجه إلى اسرائيل للقاء المسؤولين هناك، وكان من بينهم وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك شمعون بيريز وطلب أبو خليل أسلحة وذخائر.

وفي العام نفسه تم ترتيب لقاء بين بيير الجميل وبشير الجميل ومسؤولين إسرائيليين بشكل مباشر، وفي آب من العام نفسه أيضا 1976 التقى الرئيس اللبناني السابق كميل شمعون مع رئيس الوزراء اسحق رابين في سفينة إسرائيلية واتفقا على أن تكون المساعدة مجانية ولكن على الجبهة اللبنانية ان تدفع فواتير الطعام والوقود وأطلق وعده الشهير بأن يساعد اللبنانيين المسيحيين كي يساعدوا أنفسهم، قالها اسحق رابين.

في عام 1982 – اجتمع شارون مع بشير الجميل وناقشا إمكانية ربط سعي بشير الجميل لرئاسة لبنان بعملية عسكرية إسرائيلية على نطاق واسع بحيث يتم إخراج منظمة التحرير الفلسطيني من لبنان بمساعدة القوات اللبنانية وبعدها يتم ايجاد حل سياسي وفي فبراير عام 1982 التقى ايتان وبشير الجميل ووضع بشير الجميل خطته التي تقول نتوقع منكم أن تقوموا بغزو لبنان وعندما تفعلون ذلك سندين خطوتكم هذه، ونتوقع منكم أن تبقوا في لبنان ثلاثة أشهر.

وفعلاً تم اجتياح بيروت وسقطت ثاني العواصم العربية بعد القدس وامتدت دوامة الحرب حتى التسعينيات لتنتهي بالطائف الشهير، الذي أسقط المارونية السياسية ليستبدلها بسنية سياسية عمادها النفط والمال، لتسلمها بدورها لشيعية سياسية عمادها السلاح.

قد يكون السرد الموجز لتاريخ الموارنة من الناحية السياسية بعيداً عن موضوعنا الرئيسي اليوم، لكن القارىء للتاريخ اللبناني الحديث، يخلص ليقينية الدور السياسي الرعوي الذي لعبته بكركي تاريخياً، وحدها الكنيسة المارونية ومن بين كل المرجعيات في لبنان لها الوزن الأكبر على الصعيد السياسي والانتخابي.

زيارة الراعي:

البطريرك الراعي هو أول بطريرك ماروني يزور سوريا على الإطلاق، حتى البطريرك أنطوان عريضة، مؤسس الاستقلال اللبناني وأفضل العلاقات مع سوريا، والذي قال عنه البطريرك صفير في حديث للجمهورية "يوم كانت بكركي محجاً للسياسيين السوريين". كانوا يُحجّ السُنّة، لعند عريضة من الشام وحلب وحمص وحماه وادلب. لم يزر سوريا يوماً. فهو كان ضد الانتداب الفرنسي وبالتالي يتلاقى في السياسة مع الكتلة الوطنية السورية وحصل أن تلى تصريح له في الجامع الأموي في العام 1936 فهتف السوريون "لا إله إلا الله عريضة حبيب الله".

عريضة الذي قال عن الإستقلال: «نريد استقلالاً لبنانياً ناجزاً وسيادة كاملة تطابق رغائب الشعب اللبناني مضموناً من الدول مبنياً على العدل. نريد استقلالاً ودستوراً وحكاماً نزهاء، تنتقيهم الامة لا زفات ولا سكيرين ولا طامعين ولا منتقمين. نريد استقلالا مبنياً على الحرية في المعتقد والتعليم والانتخاب والتجارة والقول والكتابة. ويشترط في ذلك عدم الضرر بالغير. نريد استقلالاً مبنياً على المساواة في الحقوق بين اللبنانيين بأخذ كل طائفة حقوقها كاملة. نريد استقلالاً مبنياً على التآلف والاتحاد الوطني المسيحي الاسلامي ونريد التعاون مع المجاورين لنا في الشرق والمحافظة على صداقة جميع الدول الصديقة بشرط ان تحترم ضعفنا وكياننا وحيادنا. كبلد مفتوح هو ملجأ الاحرار ومنارة العلم والحرية الفكرية تحت سماء الشرق».

أما في عهدي البطريركين بولس المعوشي وأنطونيوس خريش استمر التقليد الماروني بالامتناع عن التوجه لسوريا، ولم يخالف الكاردينال مار نصر الله بطرس صفير هذا التقليد طوال ثلاثين عاماً، حتى أنه امتنع عن مرافقة البابا في زيارته التاريخية لسوريا إلا أن صفير يذكر في مذكراته زيارة قام بها إلى سوريا بوصفه نائباً للبطريرك المعوشي عام 1961.

أما الراعي فقد زار سوريا سابقاً بوصفه مطراناً عام 2007 وألقى عظة تلبية لدعوة ابرشية الشام المارونية، وفي حفل تنصيب البطريرك يوحنا اليازجي خلفاً للبطريرك أغناطيوس الرابع هزيم أتت زيارة الراعي التي لتثير جدلاً في لبنان، لا سيما من قبل السياسيين المعارضين للنظام السوري، فقال منسق الأمانة العامة لقوى 14 آذار المعارضة فارس سعيد ان "زيارة البطريرك الماروني إلى دمشق في هذه الظروف، تفتح الباب أمام النظام لاستغلالها وكأنه يتمتع بشرعية مسيحية".

كما قال عضو كتلة "المستقبل" النائب نضال طعمة: "أن القضية لا تحتمل التأويل في تحميل بعدها الرعائي أكثر مما يحتمل. ففي سوريا مسيحيون مؤمنون وأن يتفقدهم راعيهم، وبخاصة في الظروف الحرجة فإن ذلك لا يقارب من أي زاوية سياسية، وكما تمنى غبطته أن يحل السلام نرجو أن تكون طلبته مقبولة".

في حين صرح النائب العام الاسقفي ورئيس المحكمة المارونية في دمشق المونسنيور ميشال فريفر، قال إن زيارة الراعي "تاريخية بامتياز لأن سوريا هي أولى أوطان المسيحية في العالم، ودمشق هي أول مدينة في التاريخ". وأضاف: "إنها زيارة لوطن القديس مارون في يوم عيده، وإن زيارة الارض المارونية الاولى هي زيارة بركة ونعمة وصلاة".

ولا جدال في ما قاله فريفر، لكن السؤال يكمن هل استغرق رجال بكركي كل هذا الوقت ليعرفوا أن سوريا هي أولى أوطان المسيحية في العالم، وأنها الارض المارونية الاولى.

أما عن ما قاله الراعي في القداس بحضور ممثل الرئيس السوري وزير الدولة لشؤون الهلال الأحمر جوزيف سويد، فقد دعى الله أن يلهم ضمائر المسؤولين المحليين والإقليميين والدوليين، ويدفع بهم إلى العمل على وضع حد فوري لدوامة العنف والحرب في سوريا العزيزة، وإحلال السلام بالتفاهم والحوار حول المواضيع الخلافية.

وأضاف: "جئنا نواصل صلاتنا معكم من اجل السلام في سوريا ومن اجل الحلول الديبلوماسية لكل الامور العالقة وعودة النازحين إلى أراضيهم وعلمت أن الذين نزحوا من أرضهم في داخل سوريا وخارجها أربعة ملايين"، وتابع: «نريد من هذه الزيارة إعلان قربنا وتضامننا مع كل المتألمين من جميع الطوائف، وبخاصة مع اخوتنا المسيحيين من كل الكنائس، ومع أبنائنا وبناتنا الموارنة، في هذا الظرف الأليم من حياة سوريا الجريحة والمتألمة، حيث العنف والحرب والارهاب والقتل والتنكيل والتعذيب والتهجير والتدمير، من هنا من دمشق نقول كفى. نقولها لكل الذين يمارسون كل هذه المآسي. كفى للحرب والعنف، كفى للقتل وتدمير البيوت والمعالم الحضارية، كفى تهجيراً للمواطنين الآمنين الأبرياء، كفى إذكاء لنار الحرب والدمار والقتل من أي جهة أتى. يقولون من أجل الاصلاحات، الاصلاحات لازمة في كل مكان، في كل دولة، في كل وطن، كما هي لازمة في كل انسان. لكن الاصلاحات لا تفرض فرضاً من الخارج بل تنبع من الداخل حسب حاجات كل بلد. ولا أحد ادرى بشؤون البيت مثل أهله. الاصلاحات تتم بالحوار، بالتفاهم والتعاون، هذا ما ندعو اليه مع كل محبي السلام العادل والشامل والدائم، حيث يعطى الجميع حقوقهم ويلزم الجميع بواجباتهم، وان كان لا

ولعل حديث عن الإصلاحات والخصوصية التي طالما تغنى بها رأس النظام وأتباعه، لم يكن كافياً لإخراج الزيارة من طابعها الرعوي، ولم يكن كافياً ليحسب الراعي نفسه على طرف من طرفي النزاع، بل أجرى خلوة مع نائب وزير الخارجية السوري فيصل المقداد والبطريرك غريغوريوس الثالث لحام لمدة قاربت 15 دقيقة سجلت على هامش حفل ترسيم اليازجي.. لتكون الزيارة سياسية بامتياز كما أسلفنا.

ونختم بالرسم الكاريكاتوري الذي نشرته صحيفة الوطن السعودية، لصورة للبطريرك الراعي في ثلاثة مراحل، وقد تم تحوير القبعة الكاردينالية التي يعتمرها لتتحول إلى صاروخ، وكتابة الأحرف الأربعة الأولى من اسمه بخط عريض غليظ لتصبح "بشار الراعي" بدلاً من "بشارة الراعي".. دون تعليق.

وبتصريح نائب وزير الخارجية الروسي فيصل المقداد الذي وصف الزيارة، بالسياسية والرعوية، وأنها أتت لتصحح خطأ تاريخياً عمره عشرات السنين.. دون تعليق.

بين انتصارات الثورة وكبواتها

■ خالد كنفاني

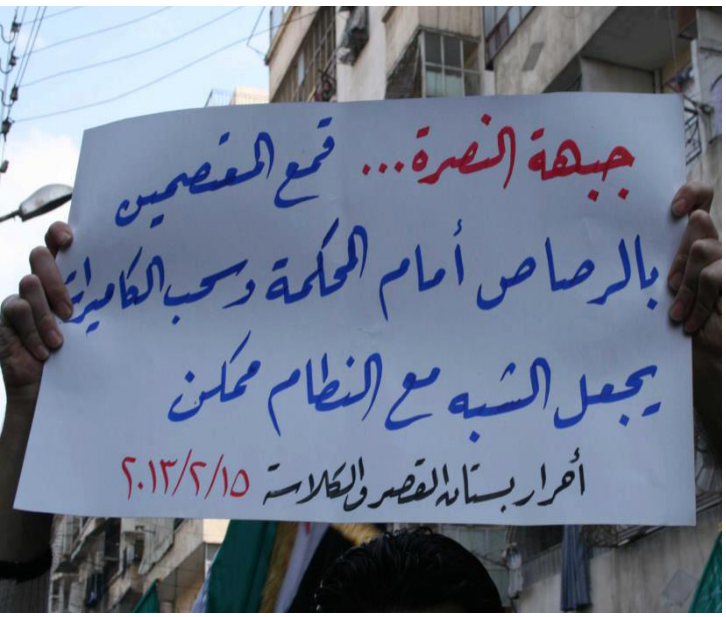

بات المشهد السوري اليوم مثيراً للحيرة بشكل متزايد خلال الأحداث الأخيرة سواء داخل سوريا أو خارجها، ومنبع هذه الحيرة هو التذبذب ليس فقط على مستوى المواقف الدولية والعربية، بل وعلى مستوى السوريين أنفسهم معارضين أو موالاة، ثواراً أو شبيحة، عقلاء أو مجانين. بات تصارع الأضداد (بتعبير الدكتور جابر الأنصاري) هو سيد الموقف في سوريا وبشكل يزيد من صعوبة التوفيق بين هذه الأضداد.

يبدو الشيخ معاذ الخطيب وكأنه يغرد في سرب يتبعه فيه بعض المصفقين والمتحمسين والمنتفعين بشكل ما من طروحاته التي تظهر للعيان وكأنها تنازلات تلو الأخرى للنظام، بداية من مبادرته النارية بقبول الحوار مع "ممثلين" عن النظام، إلى رفض النظام أن يتم ذلك خارج سوريا، مروراً بموافقته على أن يتم ذلك في إحدى مدن الشمال "المحررة"، وأخيراً وليس آخراً الاجتماع التمهيدي الذي تم الإعلان عنه اليوم في موسكو ليجمع بين الخطيب ووليد المعلم.

على الطرف الآخر من المشهد نجد نفراً من أعضاء المجلس الوطني يعلنون أن مواقف الخطيب هي مواقف شخصية بحتة ولا علاقة للمجلس الوطني بها، رغم أن المجلس عضو في الائتلاف، والخطيب هو رئيس هذا الائتلاف، ويتبعهم في ذلك كالعادة بعض المطبلين والمزمرين والمنتفعين من المال الخليجي "الخام" المتدفق في جيوبهم مقابل الصلف والتعنت ورفض أي شيء.

وفي صدارة المشهد نجد طفلاً سورياً يبكي أطلال منزله وأشلاء عائلته التي ماتت بقصف أو بعملية انتحارية أو برصاص قناصة، لا فرق لدى الأموات، ولكن الأحياء هم من يذوقون العلقم. لم يعد الطفل يعي عدوه من صديقه، ولم يعد يعرف من يهاجمه ومن يدافع عنه. اختلطت الأهداف والتوجهات والسياسات والرايات وبات الإنسان السوري عدو ما يجهل، والمجاهيل كثيرة في المعادلة السورية العصية على الفهم والعصية على الحل.

ركن آخر في المشهد يحمل الكثير من القسمات والملامح الغريبة والعنف المفرط من أناس كانوا يوماً يمشون في شوارع المدن التي يقصفونها اليوم ودخلوا الكثير من البيوت التي يهدمونها بأيديهم بعد أن أعماهم الحقد وأفقدت صيحات أطفال درعا صوابهم وطاشوا كالمجانين الموتورين يحرقون ما تحت أقدامهم وكأنه لم يكن. كان هؤلاء ينهبون بيوتنا وأرزاقنا بالباطن وبالتراضي بين الطرفين وهاهم اليوم ينهبونها رغماً عنا ويقتلوننا في اليوم ألف مرة ثم يبيعون أغراضنا في أسواق باتت تحمل تسميات طائفية قذرة تشي بحجم الكارثة الاجتماعية والفكرية التي وصل إليها السوريون في هذا البركان.

لم تنته أركان المشهد بعد، فهناك ركن يقبع فيه القليل من مقاتلي الحرية والكثير من قطاع الطرق والسارقين والمعتوهين والمتعصبين. طغى العنف الدموي القائم على المصالح المادية على كثير من جزئيات هذا الركن من المشهد، وبدأ البعض "بالردة" عن معتقدات الثورة وأهدافها والعودة إلى رعي الغنم (بتعبير عبد الباري عطوان في افتتاحيته ليوم الأربعاء الماضي في القدس العربي). تتدفق الأموال في بعض الاتجاهات كالنهر الجارف بينما تتسول الدول الكبرى في المنطقة بضعة ملايين من الدولارات للإنفاق على اللاجئين السوريين وإعاشتهم، وقد تصل الوقاحة ببعضهم كالسلطان العثماني أردوغان إلى أن يمن علينا بإنفاق 600 مليون دولار على السوريين خلال الفترة الماضية بينما يعلم هو أن مبلغاً كهذا كان كافياً لتخليص سوريا من نظام الأسد خلال أسابيع لو أنه تم توجيهه الاتجاه الصحيح. ولكن "مقامه العالي" يشارك الآخرين في أن تصل سوريا إلى مرحلة الدمار البنيوي والبشري والاقتصادي والعسكري الشامل أملاً في تعيين آل عثماني جديد يعيد مجد "الخلافة" الضائعة ويبني الامبراطورية من جديد.

يزداد المشهد السوري غرابة عند رؤية أركانه كاملة في إطار واحد، لأن الصورة تتضح تماماً وتكشف هول الانقسام والتشرذم اللذين تعيشهما سوريا على المستويات الشعبية والسياسية والعسكرية وكذلك حالة الارتباك والذهول والعبثية الفكرية والسياسية التي تعاني منها كل أطياف المعارضة بلا استثناء. قد تبدو هيئة التنسيق الوطنية الأكثر انسجاماً مع نفسها نظراً لثبات مواقفها من البداية غير أن باقي الأطراف لا تزال تمارس التشبيح الإعلامي وتغيير الولاءات وتبادل الشتائم والتعيير والتفاخر بعدد سنوات الاعتقال وهذه صفحات مواقع التواصل الاجتماعي ملأى بالمضحك المبكي من هذه السيناريوهات وادعاءات التهديد بالقتل من أناس افتراضيين وكأن الواحد منهم لم تعد له شاغلة سوى الترويج لنفسه ومحاولة الحصول على أكبر قدر من التطبيل والتزمير وكأننا في مهرجان انتخابي يعيد للذكرى الانتخابات الكرتونية التي كانت تجري في سوريا سواء لمجلس الشعب أو الإدارة المحلية ناهيك عن الاستفتاء الرئاسي.

تجوب إحدى الناشطات نصف دول العالم "دعماً" للثورة بينما يتم صرف مئات ألوف الدولارات على هذه الرحلات المكوكية التي لم نفهم فوائدها بعد. الأسوء من ذلك أن الناشطة إياها كانت تمن على الجمهور الكريم بأنها تخرج من الولايات المتحدة رغم العواصف الثلجية وكان ذلك كافياً لتنال مئات تعليقات المديح والتهليل والتمنيات بالتوفيق (بماذا؟) والعودة بالسلامة (وهل هي رحلة صيد؟) ولا ينسى المطبلون أدعية النصر (على من؟) والسفر المريح. لا توجد في الدنيا أسوء من المعارضة السورية التي استطابت حياة السفر وأروقة الصالونات والفنادق وباتت تتمنى أن يطول أمد الثورة أكثر وأن يطول أمد النظام حتى لا ينقطع الحبل السري الذي تجري عبره ملايين الدولارات دون أن يرى السوريون منها شيئاً.

تبرع أصدقاء سوريا بما يزيد على مليار ونصف مليار دولار للشعب السوري، ولكن وها قد مضى على ذلك أكثر من عشرة أيام، فأين الأموال ومن يتصرف بها، ومن يقرر أوجه صرفها، ولماذا لا يزال السوريون يموتون يومياً لا من الرصاص والقصف فحسب، بل من نقص الوقود والغذاء والإمدادات وخاصة أن طرق الإمدادات من تركيا إلى الشمال السوري مفتوحة في معظمها، فلماذا لا يتم تزويد الناس باحتياجاتهم الأساسية بدلاً من أن يتم تهريب كل الأملاك الخاصة والعامة بعد أن تم نهبها من الدوائر الحكومية والمعامل والمساكن الخاصة لتباع في تركيا بأبخس الأثمان؟

يدعي الكثير من المعارضين التفاجؤ عندما يصبح طفل متغنياً بالملا عمر رافعاً الأعلام السوداء في بنش وكأنهم يعيشون في عالمهم الافتراضي رافضين الاعتراف بالواقع والتاريخ مصممين على دفن رؤوسهم في الشاشات (البديل العصري للرمال) والقول بسوريا مدنية عصرية علمانية حضارية إلى آخر ما هنالك من أوصاف. وقد كنا في مقال سابق قد عدنا إلى التاريخ في حالة أفغانستان وذكرنا كيف أدى الدعم الخليجي للمجاهدين ضد "الكفار" السوفييت إلى تفريخ تنظيمات جهادية عمياء لا ترى ولا تسمع عادت بالبلاد والعباد إلى القرون الوسطى فهدمت التماثيل باعتبارها أصناماً (فارن قطع رأس تمثال أبي العلاء المعري في إدلب)، وحرمت النساء من التعليم والحياة (قارن منع المرأة من القيادة في حلب)، وأخيراً وليس آخراً منع رفع أية راية سوى راية التنظيم (قارن تمزيق علم الاستقلال وتحريم رفعه ناهيك عن بعض الدعوات من مشايخ الظلام بكتابة عبارة اللّه أكبر على العلم وتكفير من يخالف ذلك).

إن كل المعارضين الذين يتشدقون بدخول الأراضي السورية ثم يخرجون منها كالسائحين يعلمون تماماً أن لا مكان لهم في سوريا القادمة مهما كان شكلها أو هيئتها، فلا السوريون يقبلون بقيادات "سياحية" ولا المعارضون سيتنازلون عن مكاسبهم في الخارج سواء المادية منها أو الجنسيات الأجنبية التي يحملها معظمهم. كما أنهم يعلمون تماماً أن من يحمل البندقية اليوم يملك الأرض وحق فرض "شريعته"، ولن يقبل بأصحاب ربطات العنق قادة ولا حتى مستشارين، وعلى من شجعوا التسليح والعسكرة أن يتحملوا هذا الوزر وأن يتعاملوا معه لا أن يلتقطوا الصور التذكارية ويديروا ظهورهم للناس وينتهي كل شيء ويعود كل منهم إلى فندقه مرتاح البال مطمئن الضمير.

رفض النظام أن يقرأ التاريخ ويتعلم منه فابتلعه التاريخ ونخشى من لا يفهم الثوار الدرس وأن يتعاموا عن الحقائق فيبتلعهم التاريخ أيضاً في دوامته التي لا ترحم. لا يمكن لأي عاقل بأن يتنبأ بنهاية سعيدة وشيكة للثورة السورية التي تتحول مع الوقت إلى أزمة إنسانية ونكبة وطنية وقومية عارمة، النهايات السعيدة غالباً ما يطول أجلها، وهذا ليس استسلاماً ولا يأساً ولكنه واقعية يحتاجها السوريون أكثر من أي وقت مضى.

آخر الكلام: يقول الشاعر عبد الرحمن العشماوي

إنّي أقولُ لِمنْ يُعاتِبني أفِقْ
فأنا بسَيفِ الشّعرِ عنكَ أقارعُ
هذي حَقائقُنا وليستْ صورةً
وَهميةً فيها العقول تنازعُ
أنا لن أمَلّ منَ النّداءِ فربما
أجْدى نِداءٌ منْ فؤادي نابعُ

مبادرات المعارضة وانكشاف النظام وحلفائه وأميركا

■ عبدالوهاب بدرخان

أعلن جون كيري، في تصريحاته الأولى بعد تولّيه الخارجية الأميركية، أن الولايات المتحدة ستطرح قريباً «مبادرة» في شأن الأزمة السورية. جاء ذلك غداة انكشاف أن البيت الابيض، أي الرئيس باراك اوباما، رفض اقتراحاً بتسليح المعارضة السورية، على رغم موافقة وزيري الخارجية والدفاع عليه، وكذلك تأييده من جانب رئيس أركان الجيوش. بل انكشف أيضاً أنه لم يكن لدى اوباما أي بديل لموازنة هذا الرفض للتسليح، أي لم تكن هناك «مبادرة» وإلا لكانت هيلاري كلينتون أو ليون بانيتا أشارا اليها أو عملا على تنفيذها. ويمكن القول إن واشنطن لا تملك أي عناصر لـ «مبادرة» وإنما تنتظرها من المعارضة. ويشي ذلك بمقدار السلبية التي تعامل بها اوباما مع قضية سورية، سلبية لا يضاهيها أو ينافسها سوى الموقف الروسي اللاأخلاقي واللاإنساني حيال الشعب السوري.

إلى المبادرات، اذاً، فائتلاف المعارضة السورية أعلن أنه في صدد إعداد واحدة، وهناك فصائل معارضة اخرى استُحثت لإعداد أوراق مماثلة. وفُهِم أن الولايات المتحدة وبريطانيا تفكران بطرح مبادرة مشتركة ستكون من بين بنود المحادثات خلال زيارة كيري الأولى للندن. والهدف أن يصار إلى بلورة هذه المبادرة قبل زيارة اوباما إلى اسرائيل أواخر الشهر المقبل، وقبل لقائه المرتقب مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، ذاك أن حل الأزمة السورية سياسياً بات حديث الموائد الدولية، وابتعد كثيراً عن دمشق أو عن أي عاصمة عربية قريبة، أي كما أراده النظام السوري نفسه الذي تصرّف دائماً كما لو أن «شرعية» حكمه قامت على ما يشبه «تكليفاً» دولياً بمهادنة اسرائيل من جهة، وحماية الأقليات من جهة اخرى. وربما كان هذا صحيحاً، إلا أن أحداً لم يعطه أيضاً حصانة في حال أقدم على هذا العنف العاري والقتل الوحشي لأبناء الشعب.

روسيا وإسرائيل هما المحطتان المقبلتان. هناك أولوية الآن لتحسين العلاقة مع موسكو، ومع اليمين الاسرائيلي، قبل أن تبدأ واشنطن التحرك في الملفين السوري والفلسطيني، وليس مؤكداً أنها ستحصل على هذا التمكين الذي تتوخّاه. انها منهجية عجيبة تلك التي تدير التفكير في العقل الأوبامي، ولا شيء يضمن أنه عازمٌ على مغادرة السلبية، لكنه يريد المحاولة، خصوصاً أن اميركا (وإسرائيل) حصلتا على ما تمنتاه - وأكثر - في سورية. والدليل في هذا الدمار الكبير للعمران والاقتصاد والاجتماع، الذي يواصل النظام مفاقمته كل يوم. دمارٌ كأنه أيضاً «تكليف دولي» آخر، ولا يحتاج إلى أي برهان أو تنبيه إلى أنه يحكم مسبقاً على أي دولة مقبلة بالعجز والفشل والتخبّط.

أصبح الحل السياسي داهماً، ليس رغبة دولية في وقف نزيف الدم السوري وإنما للحد من «الأخطار» التي كانت القوى الدولية ولا تزال تخشاها، اذ اكتشفت أنها تسير بأقدامها إلى ما حذّرت منه. فهي لم تتمكّن من لجم «العسكرة» لأن النظام أرادها، ولم تتمكّن من استباق صعود التطرف لأن النظام سعى اليه تبريراً لتطرفه، بل سعى تحديداً إلى وضعه في سياق «الارهاب» الذي باتت اسرائيل تتحدّث عنه باعتبار أنه سيخلق على حدودها حالاً أكثر خطورة من تلك التي تشكو من وجودها في سيناء. لكن أسوأ ما أدركته القوى الدولية أن النظام دأب على إحباط كل حل سياسي. اذ لم تكن لديه، ولا في أي يوم، مبادرة يمكن أن تطرحها «دولة»، أو حتى سلطة مستبدة متمتعة بشيء من الوطنية، على شعبها، بل كانت لدى النظام دائماً آمال في أن يعيد التدويل انتاج «التكليف» السابق له، شرط أن يكون هذا التدويل كما رسمه، أي خارج مجلس الأمن ومن دون تدخل عسكري. وقد وفت له روسيا (وإيران) بما تعهّدتاه من هذا التكليف، إلا أن الجانب الغربي لم يستجب. ومع ذلك لا يزال النظام يتوقع ويتوهّم أن يبلور تحرك اوباما صيغة ما لمصلحته، فهذه فرصة اسرائيل لإنقاذه.

على رغم حديثه المتكرر عن «حل داخلي» أو «حل سوري» و «رفض للإملاءات»، رفض النظام مبادرة رئيس الائتلاف المعارض معاذ الخطيب. لماذا؟ لأنه لا يبحث عن مصالحة مع الشعب، بل عن تسوية مع القوى الخارجية يريدها على حساب الشعب. سُئل الخطيب: لماذا اشترطت إطلاق المعتقلين فقط ومنح جوازات السفر؟ أجاب: لأنهما مطلبان انسانيان لا يرفضهما إلا مَن ليس من طينة البشر. واستخدم وزير إعلام النظام صيغة اسرائيلية، اذ قال: نعم للحوار «من دون شروط مسبقة». فالنظام لا يعترف بوجود المعارضة، ولا بالخسارة البشرية الأكثر دموية في تاريخ سورية، بل إنه يدعو الشعب إلى حوار من أجل القتل. اذا كان لمبادرة الخطيب مردود وحيد، فهو أنها أزالت كل الأوهام الدولية حول أهلية النظام للحوار والبحث عن حلول. فهو يعلم، كما الجميع، أن ثمة ثمناً لا بد من أن يبذله ليكون حلٌ سياسي، وأي حل سويّ يرتسم سيعني بالضرورة نهايته.

في أي حال، لم تبدِ المقاربة الاميركية للأزمة أي مؤشرات إلى تغليب إنصاف الشعب السوري وتحقيق طموحاته على «أولويات» اخرى مثل: بلورة وفاق مع روسيا، مكافحة الجماعات المتطرفة، مصالح اسرائيل، الحد من النفوذ الايراني.. هذه، مرة اخرى، منهجية مقيتة ومسكونة بذهنية «سايكس - بيكوية»، اذ يراد تركيب مستقبل بلد وشعب بناء على معالجات لمخاوف أمنية آيلة للتغيير وهواجس مشروعة لكن مضخّمة أو على ترضيات مصلحية لا تريح سوى حلفاء النظام أو أعداء الشعب.. وفي ضوء ذلك، أي مبادرة يصوغها الائتلاف يمكن أن تحظى باهتمام اميركا وأذنها الصاغية، اذا لم تكن قضية الشعب أولويتها في سورية، واذا لم يكن لديها تفهّم واع لما تسميه تطرفاً ولأسباب استشرائه. لا يمكن بناء حل يراب الصدع الذي أحدثه النظام في الكيان السوري وفقاً لـ «تصوّرات» أو اجتهادات اميركية سبق أن جُرّبت في أمكنة اخرى وفشلت.

في أي مبادرة ستسعى المعارضة إلى الإقناع بأنها «بديل من النظام» يمكن الاعتماد عليه، وأن لديها خططاً تستطيع تنفيذها لإدارة البلد بعد سقوط النظام أو رحيله. وليس هناك ما يمكن اختراعه، لأن خرائط الطريق للمرحلة الانتقالية معروفة، لكن يمكن تكييف الخطط بما يتماشى مع خصوصيات الوضع السوري. فالتصوّرات موجودة لحكومة انتقالية ومؤتمر وطني عام وجمعية تأسيسية، والبرامج المدروسة للعمل على الدستور وتحديد المهمات العاجلة والشروع في تفعيل العدالة الانتقالية كلها شبه جاهزة، وكان يمكن رسم ملامح أكثر وضوحاً لها لو أتيح للمعارضة أن تكون على الأرض السورية. اكثر من ذلك، تبدو المعارضة مُطالبة بأن تعطي اجابات وافية عن أسئلة لم تكن تتصورها، خصوصاً في ما يتعلق بإعادة هيكلة الجيش وأجهزة الأمن، لكن الكوادر المنشقّة قادرة على إعداد ما يُطلب منها. ثمة أمر واحد يشقّ على الجميع وهو أن ينزلقوا إلى تفكير يمكن أن يؤدي إلى نهج «المحاصصة الطائفية»، فهو ضد اقتناعاتهم ومنطلقاتهم. لكن دوائر معنية هنا وهناك سبق أن انخرطت، منذ أيام مهمة كوفي انان، في تشكيل حكومات وفقاً لصيغ تأخذ بالنسب الطائفية، أو بما يطمئن الغالبية والأقليات في آن، أو على الأقل بما يمرّر بدايات المرحلة الانتقالية من دون مضاعفات أمنية وثأرية.. على رغم كل شيء، من واجب المعارضة أن يكون لها مشروعها، وهي تفكر في حل لسورية ومن أجلها، لكن اميركا وروسيا وإسرائيل والنظام لا تزال في قوقعة التفكير في حل يريحها من مفاجآت شعب أذهل نفسه قبل أن يذهل الآخرين.

الحياة 14 / 2 / 2013

لمحة عن جمعية العربية الفتاة السريّة

■ بلال سلامة

تأسيس جمعية العربية الفتاة:

تعد جمعية العربية الفتاة أهم الجمعيات العربية التي ظهرت ونمت وتطورت في البلاد العربية قبل الحرب العالمية الأولى.

وهي جمعية سرية اختلفت الروايات حول تاريخ تأسيسها ونشوئها حتى في أقوال وكتابات بعض أعضائها المؤسسين.

يقول الدكتور أحمد قدري وهو من الأعضاء المؤسسين لهذه الجمعية في مذكراته عن الثورة العربية الكبرى: "إننا بدأنا في تكوين جمعية العربية الفتاة بعد إعلان دستور 1908م بأربعة أيام لا أكثر"، بينما يقول عزت دروزة والأمير مصطفى الشهابي وهما من الأعضاء المؤسسين أيضاً: أن الجمعية تشكلت عام 1911م. أما أحمد عزت الأعظمي فيقول: تأسست عام 1909 م. أما الأستاذ عوني عبد الهادي وهو عضو بارز في هذه الجمعية فيقول: "كنت وزملائي محمد رستم حيدر والدكتور أحمد قدري نلتقي في الأستانة عند إعلان الدستور عام 1908م وقد هالنا تعصب أعضاء (تركيا الفتاة) الذي أصبح فيما بعد (حزب الاتحاد والترقي) وتحديهم للعرب والتهجم على القومية العربية، وعلى هذا الأساس تداولنا حول مشروع تشكيل جمعية سرية عربية قومية في مواجهة (تركيا الفتاة ـ الاتحاد والترقي) وتهدف إلى استقلال أمتنا العربية عن الأمة التركية. فصممنا على تشكيل هذه الجمعية بشكل سري. ولم يكن للجمعية قانون ولا رئيس في الأستانة بل كانت فكرة يتداولها (عوني عبد الهادي ـ ومحمد رستم حيدر ـ والدكتور أحمد قدري)، وعندما توجهوا إلى أوروبا عام 1909م تعاهدوا في باريز على تحقيق فكرتهم وانضم إليهم جميل مردم بك وغيره من الشباب العرب في باريز وتنادوا إلى عقد المؤتمر العربي الأول الذي انعقد عام 1913 م".

في يوم الأربعاء 18 حزيران 1913م وفي منتصف الساعة الثالثة، في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية بباريس، عقد أول مؤتمر عربي في التاريخ الحديث، برئاسة عبد الحميد الزهراوي، وقد اختير جميل مردم بك والعريسي أمينيّ سر بالعربية للمؤتمر، كما اختير شارل دباس أميناً لسره بالفرنسية. ونجح المؤتمر وكانت له مقرراته وصداها وتأثيرها مما هو مدون في تاريخ ميلاد قضيتنا العربية. وفي العهد الفيصلي في سورية كانت "العربية الفتاة" ذات الكلمة الأولى والنفوذ الأبعد وتألف حزب الاستقلال ليكون المظهر العلني للجمعية السرية.

علم الجمعية:

اتخذ قرار اعتماد راية كعلم لجمعية العربية الفتاة أثناء اجتماع في مكاتب جريدة المفيد في بيروت في آذار 1914، وكانت هذه الراية قد صممت من قبل المنتدى الأدبي العربي الذي تأسس في الأستانة عام 1909، وتتألف من أربعة ألوان هي الأبيض والأسود والأخضر والأحمر (جامعة لألوان الرايات العربية المختلفة، اللون الأسود للدولة العباسية والأبيض للأموية والأخضر للخلافة الراشدة)، ونقش على العلم بيت من الشعر لصفي الدين الحلي: بيض صنائعنا سود وقائعنا خضر مرابعنا حمر مواضينا

وكانت الراية تتكون من ثلاثة أجزاء، الثلث الأعلى أسود والثلث الأسفل أبيض والثلث الوسط أخضر ومثلثين أحمرين في كل جانب.

مارست جمعية العربية الفتاة نشاطها السري، وكان الاتصال فيما بين الأعضاء عن طريق (معتمد) وهو المسؤول عن الاتصال بين الأعضاء، وكان الاتصال بين المركز والمعتمدين والأعضاء الآخرين يجري بسرية تامة حتى أن أكثر الأعضاء لم يكونوا يعرفون أعضاء المركز ولا المعتمدين شخصياً بالرغم من كثرة عددهم حتى قيل بأنهم كانوا أكثر من مائتي عضو إضافة إلى الأمير فيصل ابن الحسين الهاشمي.

كان معظم أعضاء الجمعية من الشباب المثقف الذين يحملون أفكاراً ثورية وينتسبون إلى الطبقة الوسطى بصورة عامة.

يشير محب الدين الخطيب في مذكراته: "كنا نفضل استقطاب أبناء الذوات بدلاً من أن يستقطبهم غيرنا وكان من نصيبي الشهابيون وقد انتسب أكثرهم لجمعية الفتاة عن طريقي"، كما أن جميل مردم بك تساءل مرة أمام خير الدين الزركلي (وهو من الأعضاء المؤسسين للجمعية) قائلاً: "لا أعلم والله حتى الآن هل أراد محب الدين الخطيب لنا الخير أم أراد لنا الشر بإدخالنا مجال العمل السياسي، إن المال متوفر والحمد لله والجاه موجود وكل ما جنيناه هو التعب".

تقسيم أعضاء جمعية العربية الفتاة:

تم تقسيم أعضاء الجمعية إلى أعضاء مؤسسين وأعضاء غير مؤسسين وذلك بسبب كثرة الأعضاء، وأصبح أكثر المتربعين في الوظائف الكبرى الرئيسية في الحكومة من أعضائها، لذا رُؤي تقسيم الأعضاء إلى قسمين:

آ ـ من دخل الجمعية قبل دخول الجيش العربي (الفيصلي) إلى دمشق، اعتبر عضواً مؤسساً وله الحق بمعرفة جميع الأعضاء، وأن ينتخب الهيئة الإدارية في كل سنة.

ب ـ من دخل الجمعية بعد دخول الجيش العربي دمشق، اعتبر عضواً عادياً مع جواز تحويله إلى عضو مؤسس بطريق الاستثناء، وبقرار من لجنة خاصة.

وقد عقدت هذه اللجنة جلسة خاصة في 13 أيار 1920 استثنت فيها الأعضاء العاديين واعتبرتهم أعضاء مؤسسين فكان بين هؤلاء الأعضاء:

(محمد النحاس ـ سعيد المنلا ـ عادل أرسلان ـ عارف نكد ـ يوسف العظمة ـ صالح قمباز ـ عبد الحميد كرامة ـ عبد الرحمن الشهبندر ـ محمد رضا مردم بك). ولم تأخذ الجمعية إطلاقاً بما يسمى "عضوية الشرف" فكل أعضائها كانوا أعضاء عاملين.

وقد أنشأت الجمعية لجان على المستويات كافة جرى تحديد مسؤولياتها والعلاقة بينها، وقد تم انتخاب أعضاء هذه اللجان وتم تحديد أمين سر وأمين صندوق لكل واحدة منها.

كما تشكلت لجنة وطنية عليا منبثقة عن جمعية العربية الفتاة، ومن أقطاب هذه اللجنة رئيسها الأستاذ كامل قصاب والأستاذ محب الدين الخطيب الكاتب العام، أما أعضاء الهيئة منهم: سامي مردم بك ـ نسيب حمزة (الحمزاوي) ـ عبد القادر الخطيب ـ عوني القضماني ـ الشيخ عبد الحلبي ـ أسعد المالكي ـ شكري طباع ـ عبد القادر سكر ـ أسعد المهايني ـ محمد النحاس ـ جميل مردم بك.

ومما قاله جمال باشا عن هذه الجمعية وخطورتها على الدولة العثمانية: "إذا استطاعت هذه الجمعية بأعضائها العسكريين أن تحدث تمرداً في صفوف الجيش لما كانت لديّ وسيلة لمنع الثورة وتسكينها!!"، ومما قاله أيضاً بهذا الموضوع: "يجب علينا أن لا نتهاون بهذه البوادر التعصبية للفكرة العربية، علينا ألا ندع الضباط العرب يستريحون من العناء، ويتحتم دائماً إبقاؤهم خارج البلاد".

وفي الختام لا بد أن ننوه أنه إذا ما كان حزب الاستقلال قد نشأ ليكون واجهة حزبية علنية للفتاة السرية، وإذا كانت اللجنة الوطنية العليا وفروعها قد نشأت لتكون الصيغة الجماهيرية الواسعة للنضال الوطني الذي تقوده جمعية العربية الفتاة كذلك، فإن الحزب الوطني قد نشأ وتأسس بسبب الصراعات التي قامت داخل جمعية الفتاة ذاتها، وتبلورت في انقسام قام بين الأمير فيصل وجماعته من الوجهاء والأعيان والأرستقراطية من جهة وبين بقية أعضاء الجمعية من جهة أخرى، فجاء الحزب الوطني ليكون الواجهة العلنية لجناح الأمير فيصل في جمعية العربية الفتاة.

مرسوم حظر التدخين في الأماكن العامة

■ ياسر مرزوق

في عام 1575 أقر "المجلس الكنسي المكسيكي" أول قانون لحظر التدخين في العالم والذي حظر ومنع استخدام التبغ أو التدخين في أية كنيسة في المكسيك أو المستعمرات الإسبانية في منطقة البحر الكاريبي. بعدها منع السلطان العثماني مراد الرابع التدخين في إمبراطوريته عام 1633. من جهته أصدر البابا أوربان السابع حظرا بالتدخين في الكنيسة عام 1590 وبدأ المجتمع الأوروبي المدني بسن قوانين حظر التدخين بعد ذلك، لا سيما بعض أجزاء النمسا في أواخر القرن السابع عشر.

عام 1941أمر أدولف هتلر عام 1941 بحظر للتدخين على صعيد وطني وقد عمد الحزب النازي على تطبيق القانون في كل جامعة ألمانية، مكتب بريد، مستشفى عسكري، ومكتب للحزب النازي، وذلك تحت سلطة "معهد أستيل" لأبحاث مخاطر التدخين. وقد نشر النازيون حملات مناهضة لمكافحة التدخين في مناطق عدة.

أما في أمريكا وبحلول عام 2009، كانت هناك 37 ولاية تطبق نوعاً ما من حظر التدخين. وكانت معظم دول الاتحاد الأوروبي حظرت التدخين في الأماكن العامة حينها

أما في العالم العربي فقد سبق أن أعلنت وأقرت كل من السعودية والأردن، سوريا، دولة الإمارات العربية المتحدة، مملكة البحرين سلطنة عُمان، قطر، الكويت، الجمهورية اليمنية ولبنان، قانون منع التدخين في الأماكن العامة.

أصدر رئيس الجمهورية المرسوم التشريعي رقم 62 للعام 2009 القاضي بمنع التدخين وبيع منتجات التبغ وتقديمها في الأماكن العامة المحددة وفق المرسوم كما ينص المرسوم على منع التدخين أثناء الاجتماعات والمؤتمرات والمحاضرات والأنشطة التدريبية والندوات الرسمية. وتقوم الجهات المعنية في بعض الأماكن المحددة بنص المرسوم بتوفير حيز مستقل جيد التهوية مخصص للمدخنين.

ويحظر المرسوم إنتاج وتصدير واستيراد وبيع الحلوى والأغذية وألعاب الأطفال المصنعة على شكل يشبه منتجات التبغ وعبواتها كما ينص على منع الإعلان والدعاية عن منتجات التبغ وتعاطيه.

وعرف القانون الأماكن العامة:

1 - المدارس ودور الحضانة ورياض الأطفال والمعاهد والمؤسسات التربوية الأخرى.

2 - الجامعات الحكومية والخاصة والمنشآت التعليمية الأخرى بما فيها المعاهد العليا والمتوسطة ومراكز التدريب المهني.

3 - المراكز الصحية والمصحات والمشافي والعيادات الطبية والصيدليات وعيادات التصوير الشعاعي ومراكز التأهيل الطبي والمؤسسات الصحية الأخرى العامة أو الخاصة.

4 - الغابات والمحميات والحراج وحقول الحبوب في موسم الحصاد.

5 - دور العبادة وما يتبعها.

6 - الأندية والصالات الرياضية المغلقة وأماكن التدريب وممارسة الرياضة وما يتبعها.

7 - وسائل النقل العامة في البر والجو والبحر.

8 - أماكن تخزين أو بيع أو نقل أو توزيع المحروقات والغاز.

9 - المصاعد الكهربائية.

10 - المراكز الثقافية ودور السينما والمسارح والمكتبات العامة والمتاحف والمؤسسات الثقافية الأخرى.

11 - المحال العامة المغلقة وأي أماكن أخرى تحدد بقرار من رئيس مجلس الوزراء.

12 - السجون وأماكن التوقيف.

13 - المطارات والموانئ البحرية ومحطات السكك الحديدية ومحطات النقل بالمركبات ومحطات انتظار الركاب وكذلك أماكن قطع تذاكر الركوب.

14 - الأماكن التي تشغلها الجهات الحكومية وجهات القطاع المشترك والمنظمات الشعبية والنقابات المهنية وكذلك الجمعيات والروابط غير الحكومية وأي أماكن أخرى تحدد بقرار من رئيس مجلس الوزراء.

كما نصت المادة الثالثة على (أ) حظر إنتاج وتصدير واستيراد وبيع الحلوى والأغذية والعاب الأطفال المصنعة على شكل يشبه منتجات التبغ أو عبواتها. و بيع محتويات عبوات منتجات التبغ بشكل مجزأ. (ب)وبيع منتجات التبغ ممن يدل ظاهر حالهم أنهم بعمر أقل من سن الثامنة عشرة أو تقديمها أو بيعها إليهم وعلى بائعي منتجات التبغ أن يضعوا في مكان بارز من واجهات محالهم شارة تتضمن هذا المنع.

مع عدم الإخلال بالعقوبة الأشد المنصوص عليها في القوانين النافذة يعاقب المصنعون أو المصدرون أو المستوردون الذي يخالفون الفقرة (أ) من المادة 3 من هذا المرسوم التشريعي وبالحبس لمدة ثلاثة أشهر وبدفع غرامة مقدارها 100000 مئة ألف ليرة سورية كما يعاقب البائعون المخالفون لهذه الفقرة وبدفع غرامة مقدارها 20000 ل. س عشرون ألف ليرة سورية وتصادر المنتجات.

مع عدم الإخلال بالعقوبة الأشد المنصوص عليها في القوانين النافذة يعاقب من يخالف أحكام الفقرة "ب" من المادة 3 من هذا المرسوم التشريعي بغرامة مقدارها 6000 ل. س ستة آلاف ليرة سورية وتصادر المنتجات.

يعاقب من يخالف أحكام الفقرة "ج" من المادة 3 من هذا المرسوم التشريعي بدفع غرامة مقدارها 5000 ل. س خمسة آلاف ليرة سورية ويتم ضبط المخالفات من قبل عسكريي الشرطة أو من قبل العاملين في جهاز المكافحة أو الجهات المعنية كل فيما يخصه.

مع عدم الإخلال بالعقوبة الأشد المنصوص عليها في القوانين النافذة يعاقب من يخالف أحكام القرارات الصادرة استنادا لأحكام الفقرة د من المادة 3 من هذا المرسوم التشريعي بالحبس لمدة ثلاثة أشهر وبدفع غرامة مقدارها 100000 ل. س مئة ألف ليرة سورية وتصادر آلات بيع منتجات التبغ وإتلافها من قبل المحافظة المختصة ويتم ضبط المخالفات من قبل عسكريي الشرطة أو من قبل العاملين في جهاز المكافحة أو الجهات المعنية كل فيما يخصه.

أما بالنسبة لأصحاب المحال العامة أو مستثمريها الراغبين بالسماح بالتدخين أن يخصصوا مساحة من الأماكن غير المغلقة للمدخنين بنسب محددة من مساحة المحل العام وعليهم اتخاذ الاحتياطات والتدابير اللازمة لضمان التهوية الكافية في المكان المخصص للمدخنين، كما ألزم المرسوم أصحاب الفنادق أو مستثمريها الراغبين بالسماح بالتدخين أن يخصصوا غرفاً ضمن فنادقهم للمدخنين بنسب محددة من إجمالي عدد الغرف وأن تكون تلك الغرف ضمن ادوار خاصة بالمدخنين.

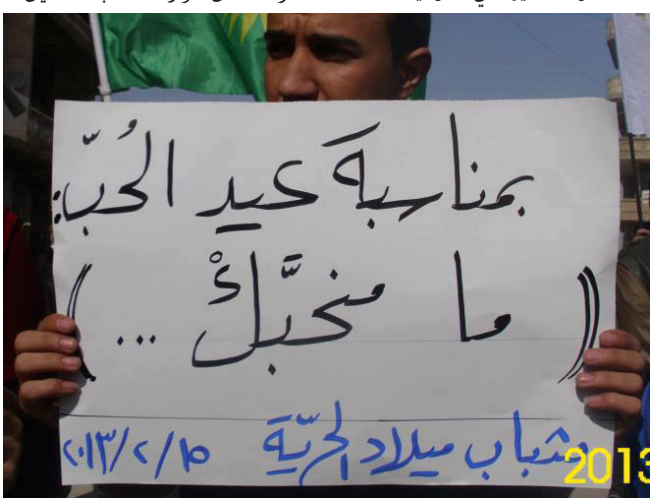

أما العقوبات بحق المخالفين، أ - فيعاقب العاملون في الجهات العامة الذين يخالفون في أماكن عملهم أحكام المرسوم التشريعي بإحدى العقوبات المسلكية المنصوص عليها في القانون الأساسي للعاملين في الدولة رقم 50 تاريخ 6 - 12 - 2004.

ب - يعاقب العاملون في القطاع الخاص والقطاع المشترك الذين يخالفون في أماكن عملهم أحكام المادة 2 من هذا المرسوم التشريعي وفق أحكام الجزاءات التأديبية المنصوص عليها في أنظمة العمل التي يخضعون إليها.

- مع مراعاة ما ورد في الفقرة (أ - ب) من هذه المادة يعاقب كل من يخالف أحكام هذا المرسوم التشريعي بغرامة مقدارها 2000 ل. س ألفا ليرة سورية ويتم ضبط هذه المخالفات من قبل الجهات المعنية.

- يعاقب أصحاب المحال العامة أو مستثمروها ذات الصلة بالطعام والشراب الذي يخالفون أحكام المادة 5 من هذا المرسوم التشريعي بدفع غرامة مقدارها 25000 ل. س خمسة وعشرون ألف ليرة سورية كما يعاقب مرتادو المحال العامة الذين يخالفون أحكام المادة المذكورة بغرامة مقدارها 2000 ل. س ألفا ليرة سورية.

كما يعاقب أصحاب الفنادق أو مستثمروها الذين يخالفون أحكام الفقرة "ب" من المادة 5 من هذا المرسوم التشريعي بدفع غرامة مقدارها 40000 ل. س أربعون ألف ليرة سورية للفنادق من الدرجة الدولية 5 نجوم

30000 ل. س ثلاثون ألف ليرة سورية للفنادق من الدرجة الممتازة 4 نجوم

20000 ل. س عشرون ألف ليرة سورية للفنادق من الدرجة الأولى 3 نجوم

10000 ل. س عشرة آلاف ليرة سورية للفنادق من الدرجة الثانية نجمتان

5000 ل. س خمسة آلاف ليرة سورية للفنادق ما دون النجمتين

كما يعاقب نزلاء الفنادق الذين يدخنون في الغرف المخصصة لغير المدخنين بدفع غرامة مقدارها

4000 ل. س أربعة آلاف ليرة سورية للفنادق من الدرجة الدولية 5 نجوم.

3000 ل. س ثلاثة آلاف ليرة سورية للفنادق من الدرجة الممتازة 4 نجوم.

2000 ل. س ألفا ليرة سورية للفنادق من الدرجة الأولى 3 نجوم.

1000 ل. س ألف ليرة سورية للفنادق من الدرجة الثانية نجمتان.

500 ل. س خمسمئة ليرة سورية للفنادق ما دون النجمتين.

تريدون ثـــورة؟

■ إريكا تشينويث ترجمة نورس مجيد

"إذاً عليكم بالتخلي عن الأسلحة"، هكذا أجابت إحدى الباحثات العاملات في مجال العنف السياسي والتي قادتها أبحاثها إلى قلب مفاهيمها عن هذا النوع من الصراع رأساً على عقب.

خرجت من الطائرة في العاصمة الدنمركية، كوبنهاجن، متوجهةً إلى اجتماع حول الأزمة في سورية. هناك أخبرنا ثلاثة من النشطاء، الذين فضلوا استخدام أسماء مستعارة خوفاً من انتقام النظام، عن سقوط ثلاث آلاف ضحية واعتقال آلاف آخرين بسبب سعيهم للإطاحة بحكومتهم.

أثناء المؤتمر الذي عقد في مبنى البرلمان الدنمركي – وجمع مئات من مسؤولي الحكومة الدنمركية، والصحفيين، والناشطين في مجال حقوق الإنسان والعمال والأكاديميين - كنت أستطيع أن ألمس وأرى التساؤل على وجوههم الحضور: هل استنفذ السوريون الوسائل السلمية؟ ألم يحن الوقت بالنسبة لهم لحمل السلاح؟

ثم جاء دوري بعد أن سأل رئيس الجلسة عن رأيي في الموضوع، صعدت إلى المنصة، اعتذرت عن الفوضى البادية على هيئتي جراء السفر الطويل، ومن خلال مترجم فوري عربي توجهت للنشطاء السوريين، وأخبرتهم أن رفضهم لاستخدام العنف يضعهم مباشرة على الطريق الصحيح، وأن العمل السلمي، ولكن النشيط والفاعل، هو الوسيلة الأفضل لتحقيق الهدف، لدرجة أنني كنت قادرة على تقدير أو حساب فرصهم في النجاح.

وأضفت "إذا واصلت الانتفاضة السورية التزامها بالسلمية، وواصلت قوات الأمن التابعة للنظام انشقاقها على هذه الوتيرة، فإن فرصهم في هزيمة حكومة بشار الأسد – والإطاحة به بشكل كامل عن السلطة – تصل إلى 60 في المئة. قلت لهم أيضاً: "لكن بمجرد التحول إلى العنف، فإن احتمالات نجاحكم تنخفض مباشرة بمقدار النصف إلى 30 في المئة".

بعد أن صرحت بذلك في أيلول/ سبتمبر، كنت أستطيع رؤية الحضور وهم يتساءلون بين بعضهم في شيء من الارتباك: كيف يمكن للدنمركيين مساعدة السوريين في هزيمة الطاغية؟!. عندها شددت على أن المجتمع الدولي يستطيع تقديم الدعم المعنوي، ولكن القوة الحقيقية للتغيير ستظل داخلية، تقودها قيادة مدنية، وتنفذها إرادة شعبية سلمية عارمة.

لكن سورياً واحداً بين الحضور لم يكن مقتنعاً: شخص في منتصف العمر يعيش في المنفى في باريس، أوضح رفضه علناً لفكرة أن المقاومة اللاعنفية وحدها يمكن أن تطيح بنظام الأسد، ودعا إلى اتباع النموذج الليبي في الصراع (أي تقديم السلاح للمدنيين السوريين والمنشقين من الجيش فيما تعمل قوات دولية أجنبية على تحييد جيش الأسد). لكنني أكدت بدوري على أنه، تاريخياً، أثبت التمرد المسلح المدعوم من الجيوش الأجنبية أن سجله في النجاح أسوأ من حملات المقاومة السلمية.

لكن الرجل اعترض على تلميحي بطريقة لا تحتاج إلى مترجم: "ساذجة!!"

لطالما تراءى لي بأني قد أقضي حياتي كلها وأنا أحاول فهم أسباب ونتائج العنف السياسي. كنت في التاسعة من عمري عندما سقط جدار برلين، وأتذكر نفسي حينها وأنا أشاهد تقريراً عن ثورة عام 1989 التي اجتاحت أوروبا الشرقية وأنا جالسة مع عائلتي أتناول العشاء في منزلنا الدافئ في ضواحي دايتون.

عندما بلغت الثالثة عشرة من عمري، أهداني والداي يوميات (زلاتا)، "زلاتا فيليبوفيتش" وهي صربية من البوسنة اشتهرت في الثالثة عشرة من عمرها بعد أن نشر أحد الصحفيين يومياتها عن الحرب في البلقان. الحروب التي رافقت تفكك يوغسلافيا أصبحت منذ ذلك اليوم في مركز اهتمامي، وهذا الكتاب أثر فيّ بشكل لا يمكن نسيانه: "زلاتا" كانت في مثل سني تماماً عندما كتبت ما كتبته، لكني لم أجرب يوماً ويلات الحصار العسكري، لم أختبر مقتل زملائي في المدرسة، ولم أعرف معنى الجوع كما حدث معها، مع ذلك تبقى يومياتها سبباً أساسياً في قراري دراسة آثار الصراع المسلح. (لحسن حظي التقيت بـ زلاتا بعد عقود من الزمن وتحدثت إليها في إحدى المناسبات التي حضرتها في جامعة هارفارد حيث كنت أشغل منصب زميلة).

أغلقت الباب على نفسي، وقضيت معظم سنوات مراهقتي منحنية على مكتبي، أستمع إلى الموسيقى الكلاسيكية وأنا أقلب الكتب عن حروب القرن العشرين - الحرب العالمية الأولى، الثورة الروسية، الحرب العالمية الثانية، وحرب فيتنام، وحرب الخليج - بينما بقيت الأفلام وبرامج التلفاز تركز على فكرة أن العنف السياسي هو وسيلة اعتاد الناس على استخدامها لكسب السلطة وممارستها.

ومع انتسابي إلى جامعة ديلاوير، كنت أدرك حينها أنني أبحث عن مهنة في العلاقات الدولية مع التركيز على مسألة الأمن. أردت دراسة العنف السياسي، وفهمه، وشرحه، والتنبؤ بنتائجه. أدركت أن التنبؤ يمنح المرء قدرة نسبية على السيطرة على مجريات الأمور - القدرة على التنبؤ بـ أو حتى منع حدوث المعاناة البشرية.

بعد الحادي عشر من سبتمبر، تحول اهتمامي إلى فهم سبب لجوء الأفراد (وليس الدول)، ومنهم المجموعات الإرهابية إلى العنف. وخلال الأعوام الأولى من سنوات التخرج في جامعة كولورادو، ركزت بشكل أساسي على الإرهاب في الدول الضعيفة والنامية - نتاج التاريخ. في المكان الذي عملت في بدايات عام ألفين، هيمنت على النقاشات التي دارت في الأوساط المختلفة تساؤلات حول ما إذا كانت سياسة الدول الضعيفة والنامية حقا حاضنة للإرهاب، وعما إذا كان اللجوء إلى التدخل العسكري لفرض الديمقراطية في هذه الدول من شأنه أن يحل المشكلة. تابعت أخبار السي إن إن والقنوات الأخرى وهي تبث مباشرة أحداث الغزو الأميركي للعراق في عام 2003، وجمعت معلومات حول الصراعات المسلحة في الشرق الأوسط وآسيا، تعاظم اهتمامي بمسببات الفساد، وحركات التمرد المسلحة والقمع المفرط من قبل الحكومات المستبدة، وتعلمت كيفية استخدام الأساليب الإحصائية المتقدمة للتنبؤ بنتائج هذه الصراعات.

استنفذت كثيراً من وقتي في محاولة الولوج إلى عقول الناس وفهم "الجانب المظلم" فيها من خلال التكهن بالظروف التي يمكن أن تؤدي بي إلى استخدام العنف ضد الآخرين من أجل تحقيق أهداف سياسية. فمن شأن هذا الفهم أن يعينني على إدراك المنطق الذي يتكئ عليه الناس لتبرير استخدامهم للعنف، وسرعان ما أصبحت ماهرة في استخلاص المعاني من كل هذه الأمور. لقد استقر رأيي حينها على أن العنف كان وسيلة عملية - وأن الناس استخدموا هذه الوسيلة انطلاقاً من نوايا حسنة، وعادة لأنها كانت السبيل الوحيد لتحقيق أهدافهم أو التعبير عن مظالمهم. وصلت إلى الاعتقاد بأنه في حالات كثيرة كان العنف فعالاً وفكرت في الأمر من منطلق إستراتيجي بحت، وبقيت على الحياد تماماً فيما يتعلق بأخلاقيات هذا المنهج.

كان هناك ثلاثة افتراضات رئيسية تصوغ رؤيتي للعالم. أولاً: العنف أداة فعالة، وإلا فلماذا سيلجأ أي شخص لاستخدامه؟! ثانياً: العنف هو الملاذ الأخير دائماً، وهو يأتي بعد تجربة الأساليب الأخرى وتبين فشلها، وهذا يعني أنه في كل مرة استخدم الناس العنف، كانت تلك ربما الوسيلة الوحيدة التي يملكونها للمقاومة؛ ثالثاً: لو كانت الخيارات الأخرى متاحة، كخيار المقاومة السلمية على سبيل المثال، لكان الناس استخدموها دائما، لكن لأن اللاعنف بدا ضعيفاً وغير فعال بشكل عام، كان لا بد من اللجوء إلى العنف.

لقد طورتُ سمعة جيدة كباحثة متخصصة في مسائل الإرهاب والأمن الدولي، واستمتعت بكوني إحدى النساء القليلات اللاتي تخصصن في هذا المجال. وفي حقل سيطر عليه الرجال بامتياز، كان ثمة شيئاً مثيراً للاهتمام في وجود باحثة أنثى لا تشعر بالصدمة لدى مشاهدة تجليات العنف وفظائعه: مثل مشاهدة ممارسات تنظيم القاعدة عندما كان يقتل الأطفال العراقيين ويملأ جثثهم بالألغام لتنفجر تلقائياً في وجه من يعثر عليها. أصبحت منزوعة الحساسية تماماً في ما يتعلق بالعنف، وبت مرتاحة تماماً معه، وبدا العالم الذي عشت فيه مكاناً مرعباً، لكن في الوقت الراهن، كانت تلك بالنسبة لي حقيقة وأمراً واقعاً.

في حزيران من عام 2006، دخلت (قوة الشعب) إلى حياتي من الباب العريض، وغيرت انطباعاتي بشكل كامل. كنت بصدد إنهاء رسالة الدكتوراة حول كيفية نشوء المجموعات الإرهابية في الدول الديمقراطية عندما أرسل لي أحد الأصدقاء دعوة لورشة عمل في كلية كولورادو قائلاً: "الوجه الآخر للعملة.. يبدو الموضوع مثيراً للاهتمام".

ومن هنا ستتغير نظرتي حيال العنف بشكل كامل.

تناولت ورشة العمل موضوع العصيان المدني – وهي وسيلة من وسائل الصراع يوظف خلالها المدنيون أدوات كالتظاهرات والاعتصامات والإضرابات وحملات المقاطعة في مقاومة السلطة لكن دون استخدام العنف. وبالنظر إلى مجال خبرتي، كنت متشككة فعلاً حيال إدراج هذا الموضوع تحديداً في المحاضرات التي كنت أدرسها. قلت لنفسي، لن يكون هناك متسع من الوقت لتغطية هذا الموضوع لمجرد إضفاء شيء من الإيجابية بين كل هذه المواد الهامة المتعلقة بالصراعات المسلحة.

ولكن في إطار التحضير لورشة العمل هذه، كان لزاماً علي في كل الأحوال أن أحضر نفسي جيداً وأقوم بالقراءات المطلوبة – بما في ذلك الكتب والمقالات التي كتبها جين شارب، بيتر آكرمان، جاك دوفال، ستيفن زونس، كورت شوك، وغيرهم من الباحثين والممارسين لمسألة المقاومة اللاعنفية. أكدت هذه الأعمال على أن الناس يمكنهم عموماً استخدام مجموعة متنوعة وواسعة من الوسائل السلمية لتغيير ظروف حياتهم ومؤسساتهم حتى في ظل أسوأ الظروف وأكثرها تروبعا. لقد جاءت هذه الدراسات بكم من الأمثلة: الحملة المناهضة للفصل العنصري في جنوب أفريقيا، الحركة المناهضة لميلوسوفيتش في صربيا، وحركة التضامن (سوليداريتي) في بولندا. كان لدي العديد من الأفكار المتكررة: "هذا الكلام ساذج"، "المقاومة السلمية لا تنفع مع الدول المفرطة في قمعها"، و"العنف هو ما يحرك العالم"

لكني بقيت فضولية جداً حيال المسألة برمتها.

خلال الاستراحة، شرعت بخربشة تصميم لبحث متعلق بالموضوع على قصاصة من الورق، وقمت بعرضه على ماريا ستيفان، ثم على مدير المبادرات التعليمية في المركز الدولي للنضال السلمي الذي ساعد في تنظيم هذا المؤتمر. شخصياً، لم أكن لأقتنع بقوة المقاومة اللاعنفية بغياب أدلة تجريبية صلبة، لكني كنت على استعداد لإجراء البحوث المطلوبة، وخلال بضعة أسابيع، وافق المركز على دعم هذه الدراسة.

بعد سنة من البحث والتمحيص والتوثيق والفحص والتدقيق المزدوج وتنظيف البيانات، تكونت لدي قاعدة بيانات جمعت أكثر من 300 حركة شعبية

سلمية ومسلحة واسعة النطاق منذ عام 1900، تنوعت أهدافها بين تغيير الأنظمة، أو تقرير المصير، أو الانفصال. درست العوامل المختلفة ذات الصلة مثل مستوى وحشية النظام، وطبيعة النظام السياسي، والدعم من الحلفاء، وحجم وموقع كل بلد. كنت قد درست أيضاً بعض مميزات الحملات نفسها، بما في ذلك عدد المشاركين، والقدرة على إثارة الانشقاقات بين قوات الأمن، والحصول على الدعم الدولي، وأهداف الحملة، ومدتها. كانت قائمة حركات المقاومة اللاعنفية التي حصلت عليها متنوعة جداً، بدءاً من ثورة غاندي في الهند للحصول على الاستقلال 1919 - 1947، مروراً بالحملة المؤيدة للديمقراطية في الصين (المشهورة بفشلها الذريع في ميدان تيانانمن عام 1989)، وصولاً إلى حركة استقلال تيمور الشرقية (التي نجحت في عام 2000).

بقيت متشككة تماماً حتى بدأت بتحليل البيانات. لكن النتائج كانت مبهرة حقاً.

وجدت أن حملات المقاومة السلمية كانت فعالة أكثر بمرتين من الحملات المسلحة. علاوة على ذلك، فإن معدلات نجاح الحملات السلمية زادت مع مرور الوقت، في حين تضاءلت فعالية حركات التمرد المسلحة خلال العشرين سنة المنصرمة.

هذه النتائج أثبت صحتها حتى عند مواجهة المقاومة السلمية لأنظمة وحشية عمدت إلى استخدام شتى أنواع القمع المفرط. المقاومة السلمية أثبتت نجاعتها في بعض البلدان مثل الفلبين وصربيا وبولندا وتايلاند ونيبال وجنوب أفريقيا وتشيلي، في حين فشلت المقاومة المسلحة في هذه البلدان فشلاً ذريعاً. الأهم من ذلك ربما أن البلدان التي شهدت ثورات سلمية كانت تحقق انتقالاً سلساً إلى الديمقراطية، بينما كان احتمال ارتكاسها ووقوعها في حرب أهلية أقل بكثير مقارنة مع البلدان التي عمدت إلى استخدام التمرد المسلح. وعلى عكس كل ما كنت أعرفه سابقاً، بدت قوة العصيان المدني (وليس العنف) وكأنها هي القوة التي تصنع التغيير في هذا العالم.

جلست على مقعد مريح في مقهى في بيركلي، كاليفورنيا.. أخذت نفساً عميقاً.. وشرعت في التفكير: "هذا يغير كل شيء". لم أعد أجد في نفسي ما يؤكد فكرة أن العنف هو شر لا بد منه في العالم. على عكس ذلك فقد أظهرت أبحاثي أن العنف أداة غير فعالة، حتى ضد أعتى الأنظمة القمعية وأكثرها إجراماً، أما المقاومة اللاعنفية فقد قدمت بديلاً حقيقياً، وهذا يعني أن العذر لاستخدام التمرد المسلح لم يعد حقيقياً.

اتصلت بـ ماريا ستيفان، التي عبرت بدورها عن ذهولها لدى قراءة هذه النتائج، وعقدنا العزم على تأليف كتاب يشرح لماذا كانت المقاومة المدنية فعالة لهذه الدرجة كقوة للتغيير في العالم.

كانت النسخة المحررة من كتاب ((لماذا تنفع المقاومة المدنية)) في طريقها إلى الطباعة، عندما انطلقت ثورات العالم العربية في كانون الثاني/يناير 2011 متحدية طغمة من الحكام المستبدين باستخدام وسائل المقاومة المدنية. تلك الانتصارات كانت تخطف الأنفاس بكل معنى الكلمة: في 14 كانون الثاني/يناير، سقط زين العابدين بن علي في تونس، ثم تبعه حسني مبارك في شباط/فبراير. انهارت الأنظمة بالطريقة ذاتها التي كان كتابنا يناقشها: حركات شعبية سلمية وسعت نطاق مشاركتها، ونجحت في بناء علاقات تآخٍ مع قوات الأمن، وعندما جاءت الأوامر لقمع هذه الحركات رفضت هذه القوات الانصياع.

فجأة، بدأ الأسئلة تنهال على بريدي الإلكتروني من الصحافة، ومن الحكومة، ومن مختلف الزملاء الأكاديميين. كانوا يريدون فهم ما يجري، وكيف سقطت هذه الأنظمة أمام حركات مقاومة لم تلجأ إلى السلاح. كانوا يريدون معرفة ما إذا كان هذا النوع من المقاومة ينفع في المملكة العربية السعودية وإيران والبحرين وسلطنة عمان وأماكن أخرى، وكنت سعيدة حقاً لأن الإجابات التي في جعبتي كانت تستند على حقائق وأرقام وليست مجرد تكهنات.

إلا أن انطلاق الثورة الليبية (حيث تحولت الاحتجاجات بعد بضعة أيام من بدئها إلى تمرد مسلح) كانت قضية مثيرة للقلق بشكل خاص. في مارس، طلبت مني صحيفة نيويورك تايمز إعداد دراسة توضح ما إذا كان السلاح هو أفضل وسيلة يملكها المتمردون في ليبيا لإسقاط نظام معمر القذافي. قمت بإدراج البيانات المتعلقة بالخصائص المميزة لهذه الدولة، فتبين لي أن فرص المقاومة المسلحة في النجاح لم تكن تتجاوز الـ 20 في المئة مقارنة مع نحو 50 في المئة في حال التزمت الثورة بالسلمية. (في نهاية المطاف، أوشكت الثورة على الفشل حتى تدخل المجتمع الدولي لتقديم الدعم - بتكلفة بشرية وإنسانية عالية جداً). سوف نرى في السنوات القليلة القادمة ما إذا كانت ليبيا ستحقق الاستقرار أو تقع في نزاع أهلي ثان، ولكن بياناتي الإحصائية تبين أن فرصة ليبيا في أن تحقق الديمقراطية خلال السنوات الخمس المقبلة تبدو أقل من 10 في المئة.

نشرت صحيفة نيويورك تايمز التقرير، وكنت جالسة في صالة كلية (ويسليان) لتناول الغداء مع زميل لي وهو أحد أهم الخبراء في العالم فيما يتعلق بالشأن السوري، فسألته عما إذا كان يعتقد أن الثورات سوف تصل إلى هناك أيضاً. هز رأسه وقال: "لا يمكن لهذا الأمر أن يصل إلى سوريا بأي شكل من الأشكال.. هذا مستحيل".

بعد بضعة أيام فقط، كان ذلك ما حدث تماماً.

اليوم، أقضي معظم وقتي في إيصال الأمثلة والسجلات المذهلة عن المقاومة اللاعنفية إلى الوكالات الحكومية الأمريكية والأجنبية والمنظمات الدولية والباحثين والناشطين والعاملين في المنظمات غير الحكومية والصحفيين وغيرهم، وأعمل على شرح إستراتيجية وديناميكية العمل السلمي، وهو عمل يضعني في اتصال مباشر مع أناس عاديين ممن يحاولون استخدام مهاراتهم ومواهبهم الطبيعية في سعيهم للتخلص من ظروف سيئة يعيشون فيها. لقد حاولت أن أشجع على استخدام المقاومة المدنية في أماكن مثل سوريا والهند وزمبابوي، والمكسيك، والفلبين، والأراضي الفلسطينية، والولايات المتحدة، وحاولت أيضاً أن أدفع أولئك الذين يريدون اللجوء إلى العنف إلى التمهل.

عدت مؤخراً من آسيا، حيث حضرت ورشة عمل تستمر أربعة أيام نظمها مجموعة من الصينيين العاملين في مجال حقوق الإنسان، وقدمت خلالها مع مجموعة من الخبراء المواد والأبحاث التي في حوزتنا عن المقاومة المدنية. قدمت أبحاثي المدعمة بالسجلات التاريخية عن قدرة المقاومة المدنية على تغيير أصعب الأنظمة السياسية وأكثرها مناعة وعناداً.

جلس المشاركون في صمت خلال ورشة العمل، وكأنهم غير معتادين على التحدث بحرية. لكن خلال المحاضرة الأخيرة اختارت إحدى المشاركات الأكثر صمتاً التحدث وأخذت الميكروفون، وقالت بكل صدق أنها عاشت في خوف يومي لأن عملها كان يقتضي مساعدة الناس المعرضين للاضطهاد (وهو ما يضعها في كثير من الأحيان في مواجهة مباشرة مع الحكومة الصينية). كانت تخشى من احتمالية الاختفاء كما حدث مع الأصدقاء والزملاء الذين عملت معهم في السابق. ولكنها في النهاية قالت إنها بعد أن سمعت عن نجاح المقاومة اللاعنفية في أماكن أخرى من العالم بدأ هذا الخوف بالتلاشي.

أدركت أنها لم تكن وحدها، وأن هناك الملايين من الناس في مختلف أنحاء العالم يعملون من أجل التغيير في مجتمعاتهم، وقالت أن في وسعها أن تكون هي أيضاً قوة إيجابية تعمل من أجل الإصلاح في بلدها.. لقد بات هذا المستحيل الآن ممكناً.

مازال الأمل الذي يمنحه هذا البحث للناس يثير دهشتي فعلاً، وبغض النظر عن البلد أو المكان الذي يأتون منه، سواء كانت سورية أو الصين أو أي مكان آخر، فإنهم كانوا دائماً يرفضون في البداية فكرة المقاومة المدنية ويعتبرونها فكرة ساذجة. أتفهم ذلك تماماً، فقد قطعت شوطاً طويلاً أنا نفسي قبل أن أتغلب تماماً على شكوكي، خصوصاً وأني لا أعيش في ظروف قمعية كتلك التي يعيش فيها كثير من الأشخاص الذين أعمل معهم الآن. إلا أنني أشعر بكثير من التواضع والرضى لدى مشاهدة الخوف يتلاشى عندما يبدأ الناس بإدراك القوة الكامنة التي يملكونها، في الوقت ذاته أشعر بأنني أتعلم من الشجاعة والخبرة ما يفوق بكثير ما قد يتعلمه مني أي واحد منهم.

لذلك فإن الأبحاث والدراسات ليست سوى جزء من القصة التي أنا بصددها اليوم. كنت أعتقد من قبل أنه من خلال احتراف ودراسة العنف، سوف يتسنى لي أن أسهم في الحؤول دون حدوث الصراعات التي نشهدها في عالمنا اليوم، وأن هذا من شأنه أن يسهم في الحد من معاناة الناس. لكني لم أعد ساذجة كما كنت من قبل، فاليوم أنا أعرف تماماً أن الصراع أمر لا مفر منه، ولكنها هذا الصراع لا يجب أن يتمخض بالضرورة عن دمار المجتمعات أو انهيارها. عندما يدرك الناس إمكاناتهم وقدراتهم، ويرفضون الخضوع للظلم ويسعون للانخراط في المقاومة المدنية، فإن هذا الصراع سيصبح قوة بناءة من أجل التغيير في عالمنا.

المقال الأصلي باللغة الإنجليزية بعنوان:
You say you want a revolution?
5 كانون الثاني 2012
المصدر:
http://udquickly. udayton. edu/udmagazine/201201//you-say-you-want-a-revolution/

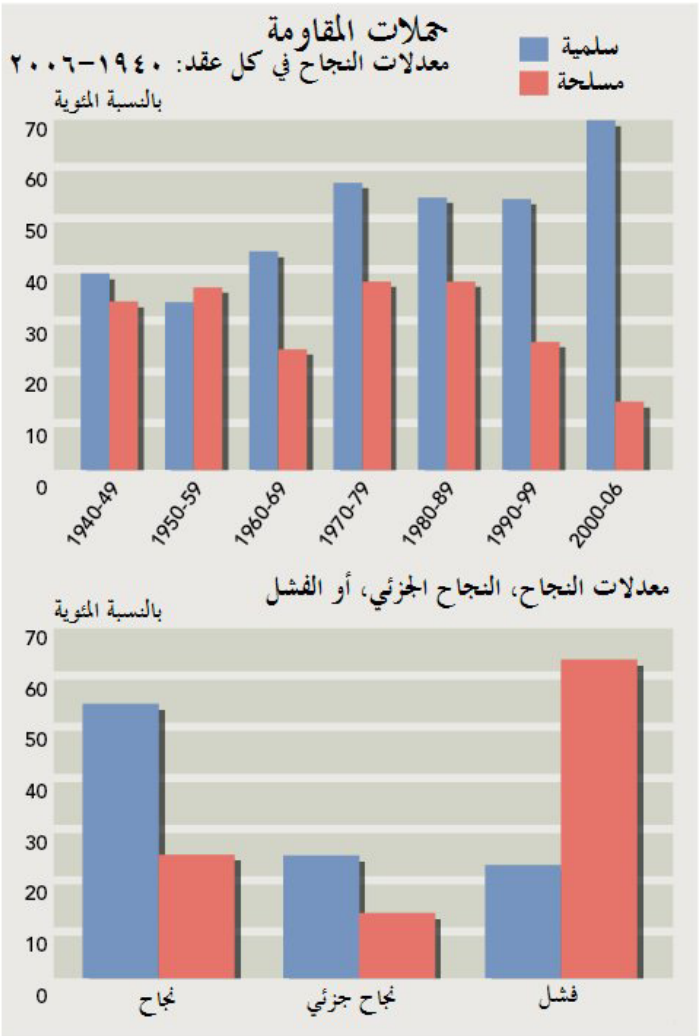

يا سوسن.. ابتسامتك تشرق من تحت تراب سوريا

■ هالا محمد

اليوم أجهر بقهري على سورية. الأحزان ستبدأ حين يسقط الأبد، حين يتوقف حمام هذا الظلم ويتوقف القتل مع آخر حجر سيتبقى في سورية.

هذا الحجر الأخير سيكون الحجر الوحيد السوري الذي نجا من مصيره كشاهدة قبر.. سيحمل مسؤولية العودة.

عودة البيوت وعودة المدارس والحدائق المعلقة والجنائن والأشجار وزهر الليمون والنارنج والورود وأنواع من الحجر ستعمرها مخيلتك يا سوسن عن بناء سورية وحلب تحديداً التي أحببتيها ومت في حبها.

والدليل، ابتسامتك الصامتة الساكنة التي لم تفارق وجهك.

ماذا تفعلين في القبر تحت التراب يا سوسن! هل التربة لا تزال تصلح للبناء!

هل تستطيع مقاومة الرصاص والانفجارات وقصف الطيران الوطني! وحرب الإخوة!.

هل يحتفظ التراب بلون الدم! أم أن الشهيد يتطهر من الألم ويعود زهرة برية إلينا.. تتوالد مدى الدهر تمدنا بتلك الابتسامة الساكنة الصامتة.. ابتسامة الأمل الدفين في قلب الأحزان.

كيف تفكرين في تصميم مبنى الهندسة المعمارية في حلب!.

ودوار العَمارة الذي قضيت فيه! وأحجار قلعة حلب والأسواق العتيقة حين ذهبنا ذلك المشوار وكنت تمسدين بيدك على كتف البيوت.. تشرحين لي تاريخها ودلالات اللون ومعنى الضوء والظلال، والأجداد وامتدادك في التاريخ.

قلت لي: حلب تحب الظلال والخيال والصدى والدلالات لأنها حقيقة الذاكرات الجمعية والفردية لماضي الحضارات ولمستقبل الأمل. وضحكنا لحلب.

في حلب يضحك الإنسان. لا يمكن أن تستضيفك مدينة بهذه الكثافة في الكرم من دون أن تردي لها الجميل وتضحكين.

كنت أرى كيف تبتسمين للشوارع. أنت ابنة هذه الشوارع العريقة. الابنة الفارعة، شجرة الحور العتيق، الشقراء، سوسنة الحنان وإيقاع الصدفة. هل كانت حياتك صدفة يا سوسن فالتقيتك صدفةً حين وقعت في غرام الصدفة!

أنا مرضت وأنت مت!

لا تحب حلب بحاضرها فقط، إنها تحب بتاريخها، تنهض الحضارة بكل صنوف أفراحها والثقافات وتحب.

الطعام ليس طعام أهل البيت فقط.. كل من مروا على هذه الأرض يتشاركون في تحديد نكهة الطبق.

في بيتك.. على طاولتك.. كنت تجلسين أمامنا «هيثم» وأنا، وكنت أضيع في سعاداتٍ جديدة أتعلمها عندكم وألقي بروحي في يمكم الدافئ فأرى أن ابتسامة صامتة ساكنة تنبت على فمي.

وأن وجهي.. تسترخي ذاكرة الانفعالات فيه.. لتصير تصغي، تتعلم الهدوء والتوقع والتوق والإيقاع.

ستفكرين بتمديد دروب ضيقة بين البيوت.. عميقة تحمي من صنوف الموت.

وتمدين يدك الشقراء الطويلة بأصابعك وخواتمك الألماس يا سيدة الدلال.. وتقطفين عشبة ضارة من حديقة الجيران.

ستقولين للعسكري على الحاجز: اللّه يحميك. ولعسكري النصرة: اللّه يهديك. ولعسكري الجيش الحر: اللّه يعينك ويجيرك.

وتقولين لسورية: أبوسك.

مع كل موت كنت تزدادين إنصافاً وعدالة.

من سيحمي سورية إذاً من العنف والظلم!

كنت تبحثين عن الناس، تريدين ألا تخلو منهم شوارع الحياة.

وكانوا يسقطون أمامك كورق الخريف. تصفر الابتسامات على إسفلت الشوارع. هذا هو الموت إذاً!.

مت معهم بينهم مثلهم شهيدة.

تمددت شجرة الحور المشمسة التي تخشخش بالفرح والحب والأمومة والأنوثة ومئات أصناف الطعام والغناء والهندسة المعمارية والتصاميم الجديدة والابتكارات. وصمتت.

لم أتخيل في عمري أن نموت في وطننا على إسفلت الشوارع، كل هذه البيوت الدافئة الحنونة التي عمرناها في مجتمعنا الحنون، لنموت في الشارع تحت القصف والجور.

من قصفك يا سوسن! هل ابتسمت للموت في حكمة يجهلها سواك يا سيدة الحكمة والعفو والتسامح.

يا سيدة الأمومة والأخوة والصداقة.. والأفراح.

هل بكيت وحيدة من الألم لثوانٍ وعرفت أنك راحلة.. فتركت وصيتك معلقة في سماء حضارتك.

هل عرف القاتل أنه قتلك!.

هل عرفت سيدة القصر أن سيدة سورية مثلها قضت في الشارع!

كيف تنام وأولاد الناس ونساؤهم ينتهكون كل لحظة لأنهم فقط أرادوا الانتماء إلى حضارة البشر. أرادوا الحرية.

هل يستحق مطلب الحرية كل هذه السخرية حقاً وكل هذا السحل والتعذيب والبربرية!

هل تستحق فكرة المواطنة المتساوية كل هذه السجون وتمزيق الثقة بين أهل البلد وقطع الأشجار.. وانقراض الرياحين وانتهاك التراب.

هل تستحق ثورة ابتدأت مطالبة بالإصلاح.. يدق فيها أهل البلد ناقوس الخطر، ويؤكدون على ضرورة المساواة والعدالة والقوانين التي تحمي الفرد المواطن في دولة مدنية لا عسكرية ولا دينية، هل تستحق كل هذه الشراسة لإثبات طائفية الناس ونعتهم بالإرهاب وقتلهم ومحاولة حرمانهم من صوتهم لكي يبقى النظام القائم قائما!

هل تستحق سورية وثورتها النبيلة أن تصاب بنبال الطائفية وكتائبها وأموالها.

من هو النظام القائم إذا رحلت سوسن قتلاً في الشوارع!

كل نظام لا يستطيع حماية السيدات خارج وداخل بيوتهن.. يجب أن يسقط.

إنه ليس سليل أية حضارة.

ما هو النظام! من هم القتلة! ولمن ولماذا وأين وكيف عشش القتل وفرخ القتلة في بلاد التعايش والمحبة!

لمَ يبقَ القتلة وترحل سوسن!

كل قاتل هو الوجه الآخر للظلام حين يدور الظلام في الظلام وجهه.

على الشارع في حلب.. قضيت يا تاج رأس المحبة.

كنا تبادلنا الألم على الرجل الحلبي

من أين يأتي كل هذا الشر؟

■ زليخة سالم

من أين يأتي كل هذا الشر؟ وأسئلة أخرى تدور على لسان كل سوري منذ بداية الثورة وهو يعيش في دوامة الموت والقتل والتعذيب والاعتقال والاغتصاب على أيدي من كان يظن أنهم حماة الديار وأمن البلد.. وهل هؤلاء هم أنفسهم الذين كانوا بالأمس القريب أولادنا وشبابنا هل غسل النظام أدمغتهم واستبدل قلوبهم كيف حولهم إلى وحوش ضارية تبطش بالأطفال والنساء والشيوخ.

قبل الثورة كنا نعيش الموت المعنوي.. من إقصاء وتهميش وتلقين لمفاهيم التأبيد والقائد الواحد الأوحد وتدجين لأبنائنا بدءاً من طلائع البعث وشبيبة الثورة وصولاً إلى العسكرية التي اتبع فيها النظام سياسة ممنهجة لإذلال العساكر والمجندين وإهانتهم ومعاملتهم كالجرذان حتى انتزع من قلوبهم وعقولهم أي انتماء للوطن وللإنسانية وفتح لهم الأبواب مشرعة للفساد والإفساد والمتاجرة بكل شيء بالأسلحة والمخدرات حتى تحول بعض كبار الضباط إلى مافيا تتاجر وتعمل بكل شيء ما عدا خدمة وحماية الوطن.

كل هذا أصبح معلوما للصغير قبل الكبير إلا أن أسئلة عديدة بدأت تدور على ألسنتنا تجاه الطرف الآخر ممن ثار على هذا النظام وسياساته القمعية والإجرامية والإقصائية وأهمها لمصلحة من إلباس هذه الثورة العظيمة لبوس التدين والتعصب والتطرف البعيدين كل البعد عن مجتمعنا وعاداتنا ونسيجنا الاجتماعي والذي يقدم خدمة جليلة للنظام وللمجتمع الدولي المتخاذل أصلاً.. الثائر الحقيقي هو من يثور على نفسه أولاً يستعيد توازنه وروحه ويتخلص مما علق به من أخلاقيات قذرة عمل النظام على زرعها فينا لأكثر من نصف قرن حتى يتمكن من التفريق بين الحق والباطل وأن يتحلى بالأخلاق الثورية الحقيقية واستيعاب أن ما يحصل هو من طبيعة الدكتاتوريات اللا أخلاقية والإجرامية وأن يعمل على منع استنساخ أو إنتاج النظام بصورة ثانية.

أتكلم هنا عن التجاوزات والأخطاء التي ترتكبها الكتائب المتشددة في بعض المناطق وتحديدا عن بنش التي أظهر أحرارها وثوارها منذ بداية الثورة وعي لافت وإدراك لماهية الصراع عبروا عنه من خلال صمودهم ولافتاتهم التي رفعوها في مظاهراتهم وعلى جدران مدينتهم.. وأتساءل هل هم أنفسهم من رفع على الأكتاف طفل لا يتجاوز العاشرة من عمره يحمل خنجراً ويهدد بالقتل والذبح ويبايع أميره أم أنهم تنحوا جانباً وتركوا الساحة لبعض المتشددين والغرباء الذين يجرون الثورة إلى منحى آخر.

ما نزرعه اليوم في نفوس وعقول وقلوب أطفالنا من حقد وضغينة سنحصده في السنوات القادمة صراع أهلي وطائفي وإجرام منظم يأتي على ما تبقى من سوريتنا.

النقد يصوب المسار ولا ينتقص من أهمية ما ينجز على الأرض وإذا لم نحاول جميعنا تسليط الضوء على الأخطاء التي تزايدت في الآونة الأخيرة والعمل على الحد منها فنستيقظ يوماً لنجد أنفسنا أمام كتائب المتشددين والعمائم والتكفيريين وقد بنوا دكتاتوريتهم على دماء السوريين ويلزمها عشرات الثورات للتخلص منها.

يمكن ان يخرج احدهم ويقول لي هذا تنظير انظري ماذا فعلوا ويفعلون بنا يقتلون ويدمرون وأنا أقول له علينا مواجهتهم بكل الطرق والوسائل ومحاربتهم ولكن ليس بأطفالنا الذين فقدوا طفولتهم وبراءتهم جراء هذه الحرب القذرة من طاغي ضد شعبه.. علينا أن نحمي أطفالنا لكي نحمي مستقبل سوريتنا ونزرع فيهم المحبة والتسامح والقيم الأخلاقية والثورية.

ولمن يقول بعد انتصار الثورة نتفرغ لتصحيح الأخطاء ونحارب التطرف الذي تنشره بعض الجماعات هنا وهناك ويظهر في أشكال مختلفة مثل إنزال علم الثورة ورمزها الذي ينضوي تحته ثوارنا من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب لرفع الرايات السوداء، وتحطيم تماثيل لشخصيات ورموز تاريخية، وتدمير مناطق أثرية وخطف الناشطين وتعذيبهم ومحاكمتهم (أبو مريم) مثالاً وغيره كثر ممن يرفضون هيمنة هذه الكتائب وعقيدتها في مناطقهم، أقول إن معالجة أي مشكلة في بدايتها أسهل بمئات المرات من معالجتها بعد تراكمها حيث ستكلفنا ثمناً باهظاً من دماء أبنائنا لا يقل عما دفعناه منذ بداية الثورة إن لم يكن أكثر بكثير.

أحرارنا وشبابنا الذين ثاروا على الظلم والقمع وأصبحوا أسطورة في الوعي وتوجيه البوصلة للمعارضة السياسية والصمود والإصرار على تحقيق مطالبهم التي تجسدت في لافتاتهم لا يمكن أن يكونوا ظالمين ولا يمكن أن يغرر بهم من جَهلة، وأذكر بما خطت أيديهم في بعض المناطق الثائرة.. بنش (الثائر المزيف هو الذي يحاول تغيير كل شيء عدا نفسه.).. سراقب (ارفعوا ألويتكم في قلوبكم أولا.. سراقب لن تسقط رايتها حتى إسقاط الإستبداد.. لا لحكم الغرباء.. لا لحكم العسكر.. لا للترهيب والتخويف.. واحد.. واحد.. واحد.. البوط العسكري واحد).. كفرنبل (دوركم حمايتنا وليس قيادتنا.. وإلا فارحلوا عنا.. جبهة النصرة أخرجوا من الضباب.. أطرحوا رؤيتكم.. الجهل بكم يدعم حملات التخويف منكم).. حاس (العداء للنظام ليس رخصة لارتكاب الأخطاء والتجاوزات.. اضربوا على أيدي الفاسدين وأعيدوا لنا بريق الثورة).. الزبداني (لأننا نعشق ثورتنا كان لزاماً علينا أن ننتقد الخطأ فيها نريدها بيضاء كاملة، الحنجرة.. القلم.. الرصاصة.. تعددت أسلحتنا والنصر واحد.. يداً بيد سلميين وعسكريين معاً لإسقاط النظام.. بنادقنا ليست للإقتتال بيننا.. بنادقنا لإسقاط من فرق بيننا.. الإسلام ليس دين تطرف.. الإسلام دين السلام.. الإسلام يقبل الجميع.. لكم دينكم ولي ديني.. ولا تزر وازرة وزر أخرى) مصياف (لاتفرض عليّ مفاهيمك.. إسلامية أو علمانية لكل شخص عقيدته وإدراكه).. أريحا (إذا كان سلاحك لحمايتي فليبقى.. لحمايتي).. القدموس (إذا بقينا منتمين لطائفة بقينا أبد الدهر أقلية.. نعم للمدنية حتى نصبح حقاً أكثرية).

لافتات تحكي قصة ثورة.. ملحمة سورية عكست مطالب الثوار على الأرض ومفاهيمهم في كل المناطق الثائرة ووعيهم السياسي والاجتماعي وردود أفعالهم تجاه ما يجري من مناورات ومبادرات سياسية، وحقيقة المواقف المتخاذلة للمجتمع الدولي.. شباب وثوار بكل هذه الروعة لايمكن أن يسمحوا بسرقة ثورتهم أو تحويل بوصلتها أو تسليمها لبعض الكتائب المتطرفة والمرتزقة.. لأنهم ببساطة أملنا في غد مشرق يعيد لسوريتنا حضارتها وتاريخها وتلاحمها وألقها.

الذي قال: مرتي تاج راسي.

قلت: يا ربي.. كيف ستعود الحياة!.

قال: دعوني أودع أولادي.

قال: أين هم.

قال: في البيت مع أمهم.

قال: هل تدعني (..) بزوجتكَ لأدعك تودع أولادك!

قال: صمت الرجل المسجى والممدد والمسحول على الإسفلت في أحد شوارع حلب في لباسه الداخلي الأبيض.

قال: شو!

قال: صَمت.

قال: لكن أبتخليني (..) مرتك..! شو! وين بيتك بخليك تودع أولادك.

قال: رفع يده محاولاً إنشاءها كنصب للحوار في الأوكسجين المشترك بينه وبين القاتل «أنستاليشن» للكرامة، هندسة عمارة في الفراغ يا سوسن.

قال: عراه من لباسه الداخلي وقهقه.

قال: لا تزال يده ممدودة للحوار..

كمن يخاطب بشراً.. كمن لم يفقده الألم إنسانيته، كمن لم تهن كرامته، كمواطن يخاطب مواطناً: أعوذ بالله مرتي تاج راسي. هي بنت عمي تاج راسي.

قال: ضربه على رأسه بالبارودة.

قال: ماتَ من الضربة.

وقال: لم يكن يتخيل أن بلاده الحبيبة ستخبئ له ميتة مهينة حقيرة ذليلة كهذه الميتة.

قال: ارموه في حاوية القمامة.

قال: لم يكن يتصور أن عمراً قضاه في العمل والصلاة وحسن الجوار والشقاء.. والنطق باللغة العربية.. سينتهي به في حاوية القمامة.

هذا الذي قضى تاركاً وصيته لسورية: مرتي تاج راسي. وضع حجر الأساس في تشييد المواطنة المتساوية.

المرأة تاج راس سورية الحضارة يا سوسن.

الشخصيات:

1ـ سوسن: المهندسة المعمارية سوسن حقي. شهيدة سورية قضت في سيارتها تحت القصف على جامعة حلب.

2ـ هيثم: المخرج هيثم حقي الذي فقد شقيقته الشهيدة في قصف جامعة حلب.

3ـ هالا محمد: مواطنة سورية تقول لسورية كل طالع شمس: سورية أثقُ بك.

4ـ الشخصية الأولى (قال الأول): مواطن سوري

5ـ الشخصية الثانية (قال الثاني) شبيح يلبس لباس الجيش النظامي.

6ـ الظلام: القَتَلة.

ملاحظة:

تصرخ إحدى الشبيحات وليست من الطائفة الكريمة، بأنه من غير الممكن السماح للمعارضة الموجودة في الخارج بفرصة قبر في سورية. إذا دفنونا في الخارج يا سوسن.. انبتي عنا في التراب لا تنسي.

التراب أينما كان للميت وطناً.

فاروق الكيلاني: استقلال القضاء

■ ياسر مرزوق

عام 1789 اقتحمت جماهير الشعب الفرنسي سجن الباستيل الذي كان رمزاً للظلم والاستبداد وبدأت تدك صروحه صرحاً صرحاً، وعندما سأل لويس السادس عشر عما يجري كانت الثورة قد اجتاحت كل شيء، فالثورات لاتنبىء عن نفسها لكن جذورها تكون ممتدة وراسخة إلى أعماق المجتمع.

ولعل أكثر الأسباب التي تؤدي للثورات هي فساد القضاء وفقدانه لاستقلاله إذ عندما يفسد القضاء ويصبح خاضعاً للتأثيرات يفسد كل شيء، فالحريات تصبح بلا قيمة والظلم ينتشر وأساليب القمع والإرهاب تطغى على الشرعية والقانون، وحقوق الناس تكون في مهب الريح، ولما كانت العدالة بالنسبة للشعوب هي مسألة حياة أو موت فإذا افتقدت العدالة كان لا مفر من الثورة للقضاء على الظلم ودك قواعده، وهكذا قامت الثورة الفرنسية من أجل الدفاع عن الحقوق والحريات والقضاء على الظلم والفساد والاستخفاف بالقانون من قبل القضاء الذي كان قد فقد استقلاله وشرفه معاً بالأحكام الجائرة التي كان يصدرها والمظالم التي كان يرتكبها بحق أبناء الشعب الفرنسي.

وإذا كانت هذه الثورة قد اقترنت بالعنف، ذلك ليس لأن من طبيعة الثورات إراقة الدماء ولكن لأن نظم الحكم القائمة لا تستسلم للتطور بسهولة فهي ترفض التغيير وتقاوم الإصلاح حتى يتراكم السخط وتتجمع عناصر التقدم والتغيير فيصبح الصدام أمراً محتوماً.

وقد لا يعيد التاريخ نفسه، ولكن حركة التاريخ تعرف القوانين العلمية وتعرف أن تراكمات معينة كثيراً ما تؤدي إلى نتائج مشابهة، فعندما يتلاشى استقلال القضاء تصبح العدالة مطلباً عسير المنال ويسيطر الظلم على المجتمع ولا يتمكن الأفراد من نيل حقوقهم بسهولة ويسر.

إن استقلال القضاء في المجتمعات العربية يكاد يكون داخلاً في "منطقة ضباب" يحوطه الغموض وعدم الوضوح، ذلك أن الأسس التي يقوم عليها هذا الاستقلال لم تصاحبها عملية تنظير كافٍ تتولى تحديدها، وكان من نتيجة ذلك أن استقلال القضاء كقيمة اجتماعية وقانونية لم يلق حظاً من الاحترام، وأصبح خرق هذا الاستقلال غير مقتصر على التدخل الذي يتم من قبل السلطتين التنفيذية والتشريعية، بل أصبح يتم من قبل إدارة القضاء نفسها، كما يتم من قبل الجماعات والتكتلات التي تملك أن تمارس ضغطاً على القضاء لتغيير وجه الحكم في الدعوى، وهذا التدخل أصبح مألوفاً في المجتمعات العربية إلى حدٍ بات يهدد العدالة بأفدح الأخطار.

كتابنا اليوم للباحث القانوني والمحامي الأردني "فاروق الكيلاني" الذي حارب ضد عدم دستورية قانون المطبوعات المؤقت لعام سبعة وتسعين، وأصر على استصدار قرار من مجلس الدولة الاردني ليكون السبب في عودة العشرات من الصحف للصدور.

فاروق الكيلاني أحد فرسان الاستقلال التي يخوضها القضاء الأردني، وحكم القانون هو الهدف النهائي لهذه المعركة، حين تنتفي أنواع التدخلات الحكومية وغيرها، وقد برز الكيلاني واحداً من أهمّ المدافعين عن هذه القيم السامية، وهو القائل: "وتفسد الحكومات عندما يتولى المسؤولية فيها رجال صغار ليس لديهم أيّ اهتمام في شؤون الوطن، ولا اهتمام لديهم بغير مصالحهم الخاصّة، حيث تتكون عصابات النصب والاحتيال وشلل (البزنس) وقبض العمولات، والاعتداء غير المشروع على الأموال العامة".

"وقد حرصت معظم دساتير العالم على النص صراحة أن القضاء مستقل ولا يجوز لأحد التدخل في شؤونه، «إن أي خلل في الجهاز القضائي له تأثير خطير في مصير العدالة، فهو يمس حريات الأفراد وحقوقهم ويلقي بالأبرياء في السجون، ويترك المذنبين دون عقاب ويؤدي إلى صدور أحكام ظالمة..».

ثم يقول: «إن مشاكل القضاء خطيرة وحلها لا يكون بالمسكنات، فظروف القضاء ضاغطة ولا تسمح بالتأجيل والتسويف، ولا يمكن تركها للزمن فإن الزمن لن يفعل شيئاً..».

«إن من أهم مشاكل القضاء التي تطرح نفسها بإلحاح عدم وجود قضاة أكفاء لملء المراكز في محكمة التمييز والعدل العليا. ويوجد ضعف عام في المستوى العلمي للقضاة في كافة المحاكم، ويلمس ذلك كافة المتقاضون والمحامون، فكيف يجوز ترك ذلك دون علاج..»..

مفهوم استقلال القضاء:

يقصد بهذا المفهوم، توفير الاستقلال للقضاة كأشخاص وعدم وضعهم تحت رهبة أي سلطة من السلطات الحاكمة وان يكون خضوعهم لسلطان القانون فقط، ولتحقيق ذلك حرصت الدساتير على احاطة القضاء ببعض الضمانات التي من شأنها تحقيق ذلك الهدف ومنها ما ورد في الدستور العراقي الدائم، ويلزم توفير قدر من الضمانات الوظيفية لهم بما يكفل استقلالهم وعلى وجه الخصوص تجاه السلطة التنفيذية، كجعل اختيار القضاء للوظيفة بيد السلطة القضائية، وتوفير الحماية القضائية للقضاة للنأي بهم عن التهم الكيدية من السلطة التنفيذية، وعدم جواز عزلهم بقرار السلطة التنفيذية لعدم إعطائها فرصة للتدخل والضغط بالاتجاه الذي ترغب فيه، ويترك الأمر إلى السلطة القضائية نفسها، وهذا أصبح مبدأ عالمي مهم على وفق ما ورد في الإعلان العالمي لاستقلال العدالة الصادر عن مؤتمر مونتريال في كندا عام 1983م كذلك في المبادئ الأساسية بشأن استقلال القضاء" الصادرة عن الأمم المتحدة عام 1985م والتي تعتبر الميثاق أو المرجع الدولي بشأن استقلال القضاء حيث نصت في البند الأول: تكفل الدولة استقلال السلطة القضائية وينص عليه دستور البلد أو قوانينه ومن واجب جميع المؤسسات الحكومية وغيرها من المؤسسات احترام ومراعاة استقلال السلطة القضائية.

كما يعني المفهوم استقلال سلطة القضاء كسلطة وكيان عن السلطتين التشريعية والتنفيذية، وعدم السماح لأي جهة بإعطاء أوامر أو تعليمات أو اقتراحات للسلطة القضائية تتعلق بتنظيم السلطة، كما يعني عدم المساس بالاختصاص الأصلي للقضاء، وهو الفصل في المنازعات بتحويل الاختصاص في الفصل لجهات أخرى كالمحاكم الاستثنائية، أو المجالس التشريعية أو إعطاء صلاحيات القضاء إلى الإدارات التنفيذية، كذلك باعتبار القضاء سلطة وليس وظيفة.

ومن المعلوم أنه لا يبقى أي معنى للحديث عن سيادة القانون، والمساواة أمام أحكامه، مع انتشار المحسوبية والرشوة واستغلال النفوذ، وحينما تسود ظاهرة عدم المساءلة، والإفلات من العقاب، بالنسبة لمن يتلاعبون بالمال العام، أو يتورطون في إفساد الحياة السياسية، أو تثبت مساهمتهم في الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، وحينما توزع الامتيازات خارج إطار القانون، أو تتعامل المصالح العمومية بالمحاباة مع ذوي الجاه والنفوذ، أو غير ذلك من أشكال التمييز بين المواطنين..

ولذلك فإن الإصلاحات المطلوبة لإقامة دولة الحق والقانون لا يمكن حصرها في مراجعة الدستور، أو صياغة دستور جديد، وإنما يجب أن تكون ذات أبعاد سياسية وإدارية واقتصادية واجتماعية وثقافية، مع تدابير قانونية وعملية، تستهدف تخليق الحياة العامة، وتعزيز قيم المواطنة، وترجمة مبدأ المساواة في التعامل اليومي للمرافق العمومية المختلفة مع المواطنين، وإعمال القوانين في مواجهة الجميع.

ينتقل بنا الكتاب برشاقة بين مفهوم استقلال القضاء ومؤيداته، ودوره في حراسة الدستور وتحقيق السلام الأجتماعي، وحماية حقوق الأفراد وحرياتهم، وعلاقة السلطة القضائية بالسلطتين التشريعية والتنفيذية، بطريقة علمية مقارنة بين التشريعات العربية، دون أن يجنح للتخصص ليبقى الكتاب ثقافياً قانونياً بامتياز.

يختم الكيلاني كتابه بالعبارة التالية: "العدالة لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال بنيان إجرائي متساند وضمن إجراءات محددة تصون حقوق الأفراد وتمنع المماطلة والتسويف وتحول دون العبث بالقوانين، ورغم الكتابات العديدة والصيحات المتواصلة التي تدوي بين وقتٍ وآخر تنادي بالإصلاح فإن أحداً لم يتحرك حتى اليوم".

سنية صالح 1935 - 1985

■ ياسر مرزوق

ولدت سنية صالح في بلدة مصياف عام 1935 لعائلة فاطمة شريف وخليل صالح، مباشرة بعد وفاة أخيها الذكر الوحيد في العائلة، وفي عامها الثالث أصيبت أمها بالتهاب شديد امتد إلى أذنيها وفقدت على أثره السمع. وفقدت بالتالي التواصل اللفظي مع ابنتها، مما أخر النطق عند سنية فعاشت طفولتها في صمت، وظلت قليلة الكلام شديدة الحياء خلال سنواتها الأولى. ومع طلاق والدتها ووفاتها لاحقا اصطبغت طفولة شاعرتنا بالحزن الذي طبع تجربتها الأدبية فيما بعد، لتهدي أمها لاحقا القصيدة التالية:

كلما اتجهت نحوكِ صارت طرقي
غبارا،
خطوة واحدة وتختفي،
انتحبي بشدّة يا أمّي
وبأعلى ما تستطيعين
لا فضاء إلا حناجرنا،
فأين الهواء العظيم ليحمل الصوت
المتألم؟
ثم عودي إليّ،
يا طفولتي البكر والمريرة،
يا براري أوسع من الخيال
طفل صغير
تخفّى من الرعب أكثر مما يحتمل قلبه
المرتجف،
قولي للعالم كله
وأنت تبحثين عن قبورهم في الضباب
إن الريح وهي تجري كالطغاة
وحدها تجعلهم يصمتون طوال الليل
والحذر يقف على أفواههم
كالحراس أمام الزنزانات المضغوطة
أتذكرين من خرج في الليل
ليلاقي الريح؟
وحدنا الأطفال،
وحدنا الرماد الذي لا يهدأ
ولا يُذرى
والآن عودي إلى موتك
أيتها المرأة الرائعة.

درست الثانوية الفرع العلمي رغبةً منها في دراسة الطب لكن واقعها أجبرها على دراسة اللغة الإنكليزية في "الجونيور كوليدج في بيروت " بين عامي "1957 و1958" وهناك بدأت علائم موهبتها بالظهور، ومع اندلاع الحرب في لبنان عادت سنية إلى سوريا لتقيم مع والدها حتى عام "1961"، حين انتقلت للإقامة مع أختها الناقدة الأدبية " خالدة سعيد " زوجة الشاعر أدونيس وتتفرغ للكتابة. وتكتب قصيدتها الأولى "جسد السماء " في العام نفسه والتي نالت عليها جائزة النهار الأدبية، وكانت اللجنة التحكيمية للجائزة مؤلفة من خمسة شعراء هم، شوقي أبي شقرا، وصلاح ستيتية، وفؤاد رفقة، وأدونيس، وأنسي الحاج المشرف على القسم الأدبي في جريدة النهار:

جسد السماء مظلم وحزين
فليكن الليل آخر المطاف
الإضاءة وهمية ومؤقتة
وأكثر حساسية أجنحة الصمت
لا صوت لي ولا أغاني
خلعت صوتي على وطن الرياح والشجر
الظلال أكثر تعانقا من الأهداب
وما من أغنية تضيء ظلمات الأعماق
لكن الأصداء تدق "صدر الليل
فأنام في صدري».

سنية صالح التي قالت يوماً: الشعر عملية عبور النار، اشتعال الجسد والعقل والمخيلة بحمى الكشف والبرق الذي يفاجئ الشاعر في اثناء ذلك لا يعنيه حدود ما يجري وأهدافه.

تعرفت على شريك الدرب الشاعر" محمد الماغوط " وتتزوجه، وهو الذي وصف علاقته بها: بأنها أثمرت شعراً وأكداساً من الحزن والذكريات. هي حبي الوحيد، نقيض الإرهاب والكراهية، عاشت معي ظروفا صعبة، لكنها ظلت على الدوام، أكبر من مدينة. إنها كون وكل النساء من بعدها نجوم تمر وتنطفئ، هي وحدها السماء. هي المرأة في كل ما أكتب. كانت كعروق الذهب في الأرض ".

فازت بجائزة مجلة "حواء" للقصة القصيرة عام 1964. ثم بجائزة مجلة "الحسناء" للشعر عام 1967. ومن أعمالها نذكر الزمان الضيق، شعر، بيروت، المكتبة العصرية 1964. حبر الإعدام، شعر، بيروت، دار أجيال، 1970. قصائد، بيروت، دار العودة، 1980. ذكر الورد، بيروت، رياض الريس للكتب والنشر، 1988. الغبار، بيروت، مؤسسة فكر للأبحاث والنشر، 1982 " قصص "

تقول خالدة سعيد التي كتبت المقدمة الابداعية للأعمال الكاملة للشاعرة سنية صالح "هو شعر على حدة لا يشبه أحداً وليس منضوياً في تيار شعر لحزن متوحش ينبجس من الجوهر الأنثوي الخالق المطعون المسحوق عبر التاريخ، بقدر ما ينشد حكاية المغدورين يتقدّم كصيحة للجسد الذي انتهى بين المباضع وأسرّة المشافي".

ففي شعر سنية صالح عالم معطوب ورؤيا جامحة، في شعرها فوران سديم واحشاء غاضبة وخيال طفولي، كانت سنية من هؤلاء الشعراء الذين الشعر عندهم، كالأمومة، فعل وجود، وهي ألقت بكيانها في الشعر وكان فعلها السياسي والعاطفي وكان حربها وصراع جسدها وروحها وكان ثأرها وخشبة الخلاص،، و"طلبت من الحب أن يكون ثأرها من العالم وحصانها السحري للنجاة" فسنية صالح تعمر المشهد بالمفارقة كأنها كانت تعد لفيلم سريالي، اساس من الطفولة والدمى والشعر والحب، محكوم بقانون الجلادين، سنية صالح لن تقرأ لها ايقاعات مألوفة وستفاجئك على الدوام بمقدرة خاصة او بكيمياء شعرية خاصة تستوي على مفردات العلم وصور الطب على الزرنيخ والرصاص على عصارات الكيمياء، همسات سنية كانت تتحرك بين فواجع الحاضر ومناخ الحكايا الخرافية، فتارة تعبر من الميثولوجيا إلى الذكريات الشخصية واخرى من العبث والدعاية إلى المأساوي

ويقول محمد الماغوط: «إنها شاعرة كبيرة، لم تأخذ حقها نقدياً. ربما آذاها اسمي، فقد طغى على حضورها. كانت شاعرة كبيرة في وطن صغير»، ثلاثين سنة وهي تحملني كالجندي الجريح، ولم أستطع أن أحملها إلى قبرها بضع خطوات، هي حبي الوحيد، نقيض الإرهاب والكراهية، عاشت معي ظروفا صعبة، لكنها ظلت على الدوام، أكبر من مدينة. إنها كون وكل النساء من بعدها نجوم تمر وتنطفئ، هي وحدها السماء. هي المرأة في كل ما أكتب. كانت كعروق الذهب في الأرض»

وقال الشاعر عباس بيضون: قرأت جلّ عملها الشعري تقريبا. بدا لي يومذاك أن شعر سنية لقية. لقية وتحتاج إلى أن نحول طريقنا لنصادفها. يصعب أن نعثر عليها على المسالك التي تفضي إلى واحد من القلة المهيمنة. يصعب أن تلتقيها على هذا الدرب الغامض الذي يسمونه الأدب النسائي. يصعب أن نجدها في ذلك الأدب المعمم الذي يبدو وكأنه خلاصة جيل أو فترة. هذا لا يعني أن سنية صالح بلا شبه ولا أسلاف، هذه الدرجة من الفرادة لا تصح لأحد. «براءة» كهذه قد لا تكون سوى عاقبة الجهل أو الاعتداد الضمني المفرط وسنية ليست في هذا ولا ذاك. لكنها بالتأكيد لا تنعم ببراءة الجهل أو بادّعائه. إنها نموذج الشاعر الذي يكتنز، ليس تجربة ولكن قراءة أيضاً، إذا كنا نفصل القراءة عن التجربة، بل هي من الشعراء الذين يعنيهم أن يكون نصّهم من كثافة وتقاطعات تتخطى صوتهم المفرد. يعنيهم أن يكون هذا النص أكثر من إعلاء ذاتي وأن يكون أكثر من تدليل للنفس وبوح شخصي.

وقال أدونيس: لا أبالغ إن قلت إن سنية صالح قد تكون أهم شاعرة عربية في السنوات الخمسين الأخيرة.

وقال عابد إسماعيل: من شعور دفين بالفقدان، ووعي مأساوي بفداحة العيش في الظل، تولد قصيدة الشاعرة السورية الراحلة سنية صالح زوجة الشاعر محمد الماغوط. من ضبابية حلم مستحيل، أو كدّر رغبة لا تتحقّق، تتوالد صورها الشعرية وتتواتر؛ ومن لحظة مغيب قصوى، تهبط كناياتها، حارة، ملتهبة، لتشعل ليل القصيدة. قصيدة حزينة، متألمة، ومتأمّلة، ترمق العالم بنظرة رثائية، وتزيح القناع عن الجوهر القاتم للوجود.

قالت عنها الدكتورة "لطفية برهم" أستاذة اللغة العربية في جامعة "تشرين": ارتبط شعر سنية بالمرأة ومعاناتها باعتبار الكثير من النسوة لا يستطعن التعبير فأبدعت نصاً شعرياً بلسانهن دون النيابة عنهن، هذا النص جعل القارئ عندما يقرأ شعرها يشعر بوجود عالم آخر في داخله يفضح تهميش المرأة وينمي الحزن المنقول بواسطة شعرها في داخله عن طريق شعوره كإنسان بالهم الإنساني.

المشكلة التي عانت منها "سنية صالح" هي أن شعرها لم يلق اهتماماً نقدياً كافياً لأنها صوت نقدي مختلف عن الفحولة، ولو قرأنا شعرها بإمعان لوجدنا أن له دورا في دفع حركة الشعر العربي نحو الأمام، فهي ليست من الجيل الأول بل من الجيل الثاني، لذلك قالوا إن شعرها سار على خطا الجيل الأول الذي تأثر بالترجمة، هذان السببان اللذان قللا من الاهتمام بشعر "سنية صالح" القوي الذي تكمن قوته باختلافه وهذه المسؤولية عن عدم الاهتمام يتحملها النقاد.

داهم السرطان جسد سنية، لتقضي آخر أيامها في مشفى «بول برس» في باريس، حيث خطت بآلامها وأحزانها المجموعة الشعرية الأخيرة لها «ذكر الورد» الفائزة بجائزة يوسف الخال للشعر، وتوفيت في دمشق، في 17 آب 1985، وانجبت من الماغوط " شام وسلافة ".

"هنا ترقد سنية صالح آخر طفلة بالعالم" كلمات خطها الماغوط بدمه فوق شاهدة بيتها الأخير. وهو يرثيها بأروع ما كتب " سياف الزهور":

أيتها الزهرة المطرودة من غابتها
أيتها العضة العميقة في قلب الربيع
حبك لا ينسى أبداً
كالإهانة، كجراح الحسين
كل من أحببت، كن نجوماً
تضئ للحظة وتنطفئ إلى الأبد
وأنت وحدك السماء.
ثلاثين سنة،
وأنت تحملينني على ظهرك كالجندي الجريح.

ومن ما قاله الراحل الكبير محمد الماغوط بالأديبة الراحلة..

جلست بقربها، وهي على فراش الموت أقبّل قدميها المثقوبتين من كثرة الإبر، فقالت لي عبارة لن أنساها: أنت أنبل إنسان في العالم.

أحملها في داخلي دائما. عاطفتي شموس، هي ليست مطواعة.

كل ما أكتبه فيه شيء من السلمية، فيه شيء من الشام، فيه شيء من بيروت، فيه شيء من سنية.

سنية أكبر من مدينة، إنها كون. بعد موتها صار حبها يشبه حب السلمية، ثمرة عشر سنين، لا تراها لكنك تظل تتذكرها.

بعد موتها قررت أن لا أتزوج ثانية. فهي قدمت لي أجمل ابنتين في العالم: شام وسلافه.

رحلت سنية صالح بصمت طالما عانت منه في حياتها، هي وجيل كامل من الشاعرات السوريات اللائي لم يحظين بما يليق بهن من اهتمام نقدي وشعبي، ومنهنّ مني غزال (تمرد الشوق ـ 1974) وسميرة بريك (أحزان شجرة الليمون ـ 1979). و مرام مصري (أنذرتكَ بحمامة بيضاء ـ 1984)، مرح البقاعي (الهروب إليه) عام 1987، وفادية غيبور (للمرأة لغة أخرى) حتى عام 1993. و دعد حداد وعائشة أرناؤوط.

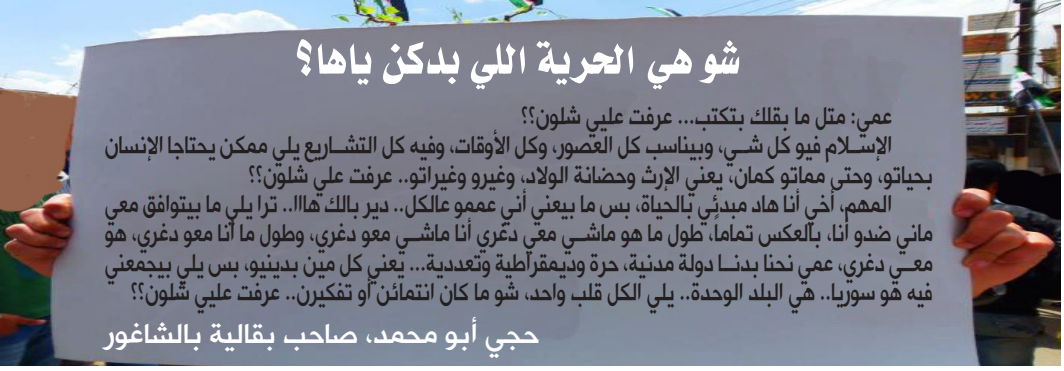

مايا صالح

بين الأخبار والناس.. بدور عالصورة الحلوة.. البوست اللي فيه أمل.. فيديوهات صور شهداء قصف عنف ببعيد عنها.. بعمل حالي مو شايفتها.. لقطة أو جملة بيتطلع الضغط اللي جوا والحزن اللي عم خبيه وغطى عليه بيظهر وبيقول أنا رح ضل هون.. "جوا القلب"!

راشد عيسى

ولدت في مخيم خان الشيح، ولم أعش فيه طويلا، شردتني حرب تشرين التحريرية إلى مخيم آخر، قذفني بدوره إلى مخيم. ظن أهلي حينذاك أن الحرب ستنتهي إلى الخسارة، فهجّروا.. والله لم أعد أفهم، شردني النصر، وشردتني الهزيمة.. عسى الثورة تعيدني إلى مسقط رأسي من جديد.

ياسين الحاج صالح

مو المشكلة مع السلفيين الجهاديين إنو يعتبروا كل ما لديهم صحيح، المشكلة أنهم يعتبرون أن كل ما هو صحيح لديهم، ولا حاجة بهم لشيء آخر. وما لديهم ضئيل وشحيح والله يعين.

إياد حياتلة

أنا فلسطيني سوري.. من سلمية.. قضاء طبرياً

هالا البلخي

في حي ركن الدين ماشية ومرق جنبي رجل كبير بالعمر.. صادف سقوط قذيفة لما تلاقينا أنا وهوي وجها لوجه.. علا صوتو وقال.. (اللـه يشلك)!! عليت صوتي وقلت (آمين).. كان هاد أحلى تشات بيني وبين خيّار معارض على أرض الواقع..

ندى الخش

استهداف الايرانيين في سوريا لم ولن يكون باعتبارهم شيعة إعلان سوريا أنها محافظة 35.. ومساندتهم لوجستيا وعسكريا وبشريا للمافيا الحاكمة تجعل منهم أهدافا عدوة لمشروع دولة ديمقراطية موحدة متنوعة حرة.. كفى مهاترات بأنها ثورة طائفية إنها تتحدى الطائفية وفي عقر دارها ولكل أدواتها وإيران الأقوى فيها والأفظع دلالة..

إيمان ناصر

الشعب مابدو شي.. بس هو ماعاد عم يقبل إنو أي جهة أو شخص يستغبيه.. أو يلوفك بالحكي من ورا ظهرو، الشعب كرهان خشوم الكذب والحقد والضرب بالظهر.. ببساطة.. الشعب فهمان اللعبة كلها بدءا من الأمور الشخصية وانتهاء بالأمور اللي إلها علاقة بقافوعة الأوزون.

إياد شربجي

الخطاب السياسي للافتات كفرنبل أوضح وأهم من خطاب المعارضة السورية مجتمعة بكل أطيافها..

غسان ياسين

أجمل قصة حب لهذا العام هي تلك التي تجمع صاروخا للجيش الحر بطائرة ميغ..

ريما بويني

مللنا رفع أصابعنا بعلامة النصر، نحن الخاسرون، كان أجدى أن نفقأ بها عين الباطل، نخدش وجه الذل، نحرّك بها الماء الآسن فوق صدورنا، ونغلي رؤوسنا من النفاق..

محمود محمود

لم يلتفت النظام السوري لإضراب المواطنين السوريين في الجولان المحتل عام 1982، إلا بعد أن ارتكب مجزرة حماة المأساوية. دائما كان الجولان المحتل ورقة التوت التي لا تظهر في أدبياته وإعلامه إلا بهدف إخفاء عورته.

رشا الأهدب

هنالك أناس يصنعون الثورة الجبارة على الأرض وهنالك أصدقاء لي خسروا كل شيء في حياتهم في هذه الثورة من أجلها، لن ولم تفقد الثورة السورية العظيمة من آلاف الأميال عن بعد. من يصنع الثورة هم رجالها ونسائها وأطفالها وشيوخها على الأرض.. هذه ثورة يا سادة يا كرام وليست نزهة. قد تحضر الثورة مرة واحدة في حياتك، فلا تضيع لعب أي دور فيها ولو كنت الكومبرس . ممكن أن تكون البطل، ممكن أن تكون المنتج، المنفذ، الممثل، الخادم، الصحفي، الناشر، الكاتب، المخرج.. في فيلم الثورة، لكن لا تكتفي بالمشاهدة فقط، عندما تتحدث لجيلك وأبنائك عن هذه الثورة سوف تتحدث بفخر لأنك لم تكتفي بالمشاهدة فقط.. فقد ذقت طعم هذه الثورة المباركة. سوف يسطر التاريخ بطولات هؤلاء الأبطال على الأرض والخزي والعار لكل من لم يمد يده للمساعدة لصناعها وأبطالها.. محبتي لكل الثوار والثائرات على الأرض السورية ولكل من شارك بأي دور كبير أو صغير في هذه الثورة من الداخل أو الخارج.

ديلاور السباهي

القاتل المجرم لا يتحاور وإنما يلقى عقابه..

وليد دروبي

الطغاة يحتفلون بعيد الحب على طريقتهم!! يمشون على سجاد أحمر من دماء شعوبهم..

حسام القطلبي

أخي بدنا نفقسها لهالدمّلة. من أول الثورة حتى الآن ثمة كل يوم من ينط في وجهي ليقول: أنا بعرف شو عم يصير هون أكتر منك لأنو أنا جوا. على راسي خاي. بس بقا فهمني كيف بتعرف إذا النت عندك مقطوع أغلب الوقت وبس يجي بيكون بطيء مثل سلحفاة. والكهربا مقطوعة نص النهار يعني ما بتشوف تلفزيون كل الوقت. والاتصالات الأرضية والخليوية أسوأ منها مافي. وبس تطلع من بيتك بدك ساعتين لتوصل ع محل بتوصله بالعادة بعشر دقائق. إيه شو هالكومينكيشنز اللي عندك يا خاي حتى تعرف أكتر وإنت اللي بتقلي ع سكايب ترى سمعت صوت انفجار قوي، بحياتك شغلنا وين بالضبط! مثلا يعني!

هادي البحرة

بمناسبة اقتراب انتهاء العام الثاني للثورة: أن كل الدول التي تحركت ضمن ما يسمى "أصدقاء سوريا" والدول الداعمة تحركت لاحتواء الثورة وضبط إيقاعها والحد من نتائجها النهائي وفق تطلعات هذه الدول. عندما نلحظ ذلك نعرف كيف نتعامل مع هذه الدول وفق ما يتوافق مع مصالحنا من مصالحهم. هذه الحقيقة نستطيع تجيرها الآن لاختزال الزمن اللازم لتحقيق النصر، كون كل يوم يمضي يقل احتياجنا لأي دعم خارجي..

رندة الحسين

إنما بعثت لأتمم (و ليس لأؤسس أو أقيم) مكارم الأخلاق.. حينما يكون دينك فقط، خوفك من العذاب أو رغبتك بملذات الجنان، رادعا لك عن ارتكاب الجرائم وإيذاء شركائك في الإنسانية.. فاعلم أنك أقرب ما يكون لحيوان مفترس، احتجازه في قفص أو إملاء معدته بالطعام يمنع أذاه، ولا تربطك وقتها أي صلة بإنسانية أو عقل أو ضمير.. رحم الله كثيرا من غير المؤمنين.. لم يسمح لهم عدم اعتناقهم لدين.. أن يتعاملوا مع الآخرين كبشر.. إلى المسمى الشيخ المجاهد وأمثاله!!..

بسام البليل

إلى معارضة الخارج!.. إذا كنتم غير قادرين على توجيه رسائل مدروسة وحازمة إلى المجتمع الدولي، فلا توهنوا عزيمة الداخل برسائلكم المرتجلة والباهتة. وحسبكم أن تلعبوا دور ساعي البريد، لأن شرعيتكم التمثيلية منوطة بمدى أمانتكم في نقل رسائل الصمود الأسطوري للحراك على الأرض، فهي كفيلة بأن تهز نياط قلب العالم الذي لا يفهم سوى رسائل القوة، وتهديد المصلحة، وعواقب العجز عن احتواء الأزمات الكبرى إذا فات أوان احتوائها.

أي تعد أو إقصاء أو انتهاك لحقوق الفرد أو الجماعة هو مرفوض في مجتمع الحريات.
ليس على البعض القدوم في منتصف مظاهرة ورفع راية تعبر عن جماعة فجأة في مظاهرة منظمة تحوي رايات الجميع بلا استثناء.. ومن الواضح أيضا أنها مقصودة.. وليس علي أبو مريم أن يرمي العلم بهذه الطريقة أيضا.. ليست أول مرة ولن تكون الأخيرة..
تعود بي الذاكرة إلى مظاهرات درعا الأولى.. ما في لافتة ما في علم ما في ألوان.. فقط سوريون.. وصوت هادر.. ذاك الصوت هو الله فينا.. هو الحرية القادمة.. الثورة مستمرة

شام داود

لم أكن اعلم انني اليوم سألتقي الخنساء وجارتها.. عندما توقفت عند حاجز كفر سوسة اسأل الشاب العسكري المتجهم عن سبب إغلاق الطريق، قال لي من يوم الجمعة مغلق، رفعت رأسها إمرأة عجوز تجلس على الرصيف بعيون بيضاء لا تكاد تفتحهما، رايحة المزة يمي؟ أكيد تفضلي.. كانت معها امرأة عجوز أخرى.. ركض العسكري أوقف السير فتح لهما الباب وساعدهما بالجلوس وحمل الصرر التي تحملانها وكأنهما خالتاه، واستدار لعندي مبتسما خالة دوري بالعكس وأنا بمرقك، قلت له بيقربوك أجاب لا هلا شفتن عباب الله.. شكرته لأن من الصعب على المشي عكس السير في أوج الزحمة.. كنت عم حاول أن لا أسأل ولا سؤال لأحبس دموعي والمرارة التي في حلقي، سؤال واحد فقط لأعرف وين بدن يروحو وين نزلكم؟ قالتلي تركية أم محمد أبناءها كلن استشهدوا، الأخير كان يعمل عجان في فرن من ست أشهر أخذوه ولم يرجع، التانية عم تربي ولاد خرسان أيتام أحفادها ما في خبز.. السياحي بمية ليرة، بين كل جملة وأخرى تردد تركية بما يشبه الهذيان: مافي خبز.. كانت كل الحواجز مفتوحة، وكأني بمدينة أخرى، أسوق سيارتي وكأني احمل بسيارتي أميرات ساحرات من كتب الحكايا متشحات بالسواد، وأنا اسمع والعجوزان تحكيان هربنا من اليهود نحن من القنيطرة من الجولان جئنا إلى الشام سكنا بالقدم عمرنا بيتنا من تعب سنين طويلة إجت القذائف صارت البيوت طحين، هربنا لجديدة الفضل.. وقفي وقفي خالتي هون وصلنا الله يوفقك الله يحميكي وطت لتبوس إيدي اللي مديتها لألمسها.. أنا اللي بدي بوس أيديكم وعيونكم البيضاء.. ما أجملكم وما أبشع وأتفه عيد الحب..

عتاب حريب

كان صمتك مقاوما أبي. كان صمتك حنونا وكان مدويا. بعد كل هذه السنين ما زال من الصعب علي أن أصفه. كنت هناك. كان النعش موضوعا على مائدة الطعام. وكان رجال الأمن يملأون الفراغ بين الشهيق والزفير. يراقبون كيف نحزن وكيف نصمت لأننا حزننا وصمتنا كان بالنسبة لهم مسألة أمن دولة. قبل التشييع بقليل شرع علي بوضع علم الثورة العربية على النعش. كان العلم مألوفا غريبا بالنسبة لي. اعرفه من الصور فقط. وفهمت وقتها من دون كلام لماذا كان وضع العلم، هذا العلم وفاءا لحياة "عمو نور الدين" وصفاء روحه. لم يكن مهما أن يخرج النعش بعلم البعث أو بعلم سورية. لم يكن مهما أن هذا النعش هو لرئيس دولة سابق. كان مهما أنه كان نعش لرجل ثار يوما وحلم بمستقبل الكرامة لبلده ولامته ودفع ثمنا باهظا لأنه رفض أن يكون شريكا في القمع أو أن يستخدم تاريخه السياسي المقاوم لتشريع عقود الظلام. عندما أتى علي بالعلم انتفض رجال الأمن، واستنفروا. وتقدم رئيسهم، الذي تحوم حوله هالة من الظلام، وفي جيوبه أرواح من قضوا تحت التعذيب بيديه، وأحزان أهاليهم وأرواحهم المكسورة، تقدم بخطوات بطيئة مثقلة بقيود الطغيان ليمنع العلم. كان هناك الكثير من البلبلة في تلك اللحظة. لم اعد أعي ماذا يقال ومن يصرخ. ولكنني رأيتك يا أبي بكل صمت تنتزعين العلم من يد الأمن لتفرشيه على النعش وبيديك مسامير. لم أكن أعي ما يحصل حولي ولكن صمتك أصبح في هذه اللحظة بوصلتي. ووجدت نفس مع آخرين نثبت العلم بالمسامير ونحن ننظر إليك لنتعلم منك بكل صمت هذه الحرفة..

هاني السيد

صبارة سوريتنا

صبارتنا حيث لا أحد فوق النقد..
باب ناقد ساخر يتناول مواضيع سوريتنا..
مجتمعنا وثورتنا..

تجعل من المستحيل بعدها بناء سوريا موحدة!

يبدو أن حوصة ولوصة المجتمع الدولي ومماطلته في حسم الصراع تهدف بالدرجة الأولى لخلق مناخ شعبي تصل به درجة الاحتقان العرقي والطائفي إلى أن يقبل بالتقسيم ويراه طوقا للنجاة.. والواقع يوحي بأن هذا ما سيحصل عاجلا أم آجلا بسبب عدم وجود مشروع وطني جامع يتمتع بقوة شعبية وعسكرية تستطيع فرضه على الأرض واقتصار المشروع الوطني المعارض على الأبواق السياسية الضعيفة التي لا تمون على نفسها حتى تمون على الفصائل المسلحة على الأرض

برعاية التيار الصهيوصليبي العلماني الليبرالي اليساري الماسوني الغربي السوري

كلمة حق..

أنا احترم المطالب بالخلافة أو بالدولة الإسلامية الذي يهلل لسيطرة جبهة النصرة ومثيلاتها من بعض الكتائب الإسلامية فهذا الفريق يمثل مشروعه ومن حقه أن يفرح بازدياد نفوذه وسيطرته على الأرض..
أما الذي أشفق عليه هو المطالب بالدولة المدنية الذي يهلل لانتصارات بعض الجماعات الإسلامية الأصولية التي قالتها ألف مرة وفي كل مناسبة أن مشروعها الخلافة والدولة الإسلامية وان قتالها في سبيل هذا الهدف الذي لن تتخلى عن سلاحها إلا بعد تحقيقه.. فيا أيها المطالب بالدولة المدنية من أجل ماذا تفرح وعلى ماذا تهلل؟ يعني بالمشرمحي شو دخلك أنت ومشروعك بالموضوع؟ كتائب نظام شمولي ديكتاتوري تريد سوريا مزرعة تتقاتل مع كتائب إسلامية أصولية تريد سوريا إمارة ودولة إسلامية.. فما شأنك أنت ودولتك المدنية بالموضوع؟

الانتماء الوطني السوري صار مجرد تنظير وعلاك!
و إذا مو عاجبك روح نزيل على الأرض وساوي كتيبة وسميها الكتيبة الوطنية السورية..

عنجد

على الائتلاف الوطني بكل أعضائه وقياداته أن يدينوا ويحاربوا كل المظاهر والسلوكيات الطائفية والعنصرية المعارضة أن كانت شعبية (مظاهرات) أو عسكرية (الحركات الأصولية) وعلى الائتلاف الوطني المعارض وقيادته أن يدركوا أن سياسية التعامي عن الفيل الموجود في الغرفة لم تعد مجدية وان هذه المظاهر اللاوطنية التي باتت منتشرة مؤخرا أصبحت تنفر جزء كبير من السوريين وتجعلهم في موقع التشكيك بأحقية الحراك الشعبي وبمصداقية المشروع الوطني المعارض بالإضافة لدورها في تعميق الشروخ الأهلية والطائفية لدرجة

المحشش السوري الالكتروني

- 1 -

إي وشو عليه.. رح منضل منشتغل إغاثة.. وانتو خليكن عم تهجرو الناس
إي وشو عليه.. رح منضل منشتغل اسعاف.. وانتو خليكن عم تقتل الناس
إي وشو عليه.. رح منضل منخلي عن المحبة.. وانتو خليكن عم تحرضو الناس
رح منضل منرفض العنف.. وانتو خليكن عم تقتل العالم «اضطراريا»
رح منضل منسكن العالم.. وانتو خليكن عم تقصفو الناس أو تفجروهن
رح منضل منطعمي العالم.. وانتو خليكن عم تسرقو أكلهن وشربهن
رح منضل منتدفى بالأمل والذكرى.. وانتو خليكن عم تسوقو بالبنزين مجنزرات وتعملو عبوات ناسفة
نحنا مكملين لأنو عنا أمانة.. 10000 سنة حضارة أمانة بعقولنا وقلوبنا.. وانتو خليكن عم تقتل.. لك سوريا هي.. بدكن 10000 سنة لتقتلونا وتقتلوها

بس رجاءا لا تقولو أنكن عم تعملو هيك باسم الحرية أو المقاومة.. عيب
نحنا مكفيين لحتى تتعبو.. سوريا هي.. سوريا

- 2 -

- هلق يا سمير أنا وأنت اتفقنا أنو انتمائي الأول لسوريا..
و أنت بدك تضل تصرعني وتقلّي إنك بتحب سوريا كتير كتير، بس انتمائك الأكبر للأمة الإسلامية، مظبوط؟
طيب، ازا إجاك واحد هندي مسلم، وواحد سوري مو مسلم، وتنيناتن عاوزين 100 ليرة شغلة حياة أو موت، وما في بجيبتك غير 100 ليرة، صحيحة، مشان ما تتحربئ وتقلي خمسينتين وأربع خمسوعشرينات، 100 ما في غيرا..
بتختار مين.. سمير؟
- بختار تحل عني، تضرب أنت واللي بناقشك.

لا تشلشنا مشلوشين

- 1 -

يعني عنجد هالشعوب الاوروبية عموما والروس خصوصا مو شايفين شي بحياتن.
يعني نزل عندن كم نيزك بروسيا شوفو كيف جنو واخبار وفيديوهات.
نحنا كل يوم عم ينزل عنا قذائف وهاون وبراميل.. لك براميل يا ناس عم ينزل عنا ومتعودين وكل شي تمام.
فعلا هالاجانب مو شايفين شي بحياتون هالمساكين.
شفتو يلي ماعندون اصلاحات كيف مو شايفين شي؟
اشكرو ربكن يلي عندكون اصلاحات.

- 2 -

من بعد سنين طويلة من الجهل والتقسيم وتحويل الشعب من شعب عريق مثقف متعلم وديمقراطي لشعب أكبر همومه النجاح بالبكالوريا والتهرب من العسكرية وذلها والسفر للخارج والزواج وبس.

وما حدا بيعرف شي عن غيرو وكل واحد بيشوف يلي من غير دينو كانه من المريخ وممنوع إي حدا يحكي إي شي أو يناقش إي شي خوفا من كسر جدار العقل.

صار شعبنا شعب في داخل كل فرد منه شبيح صغير، شبيح مؤيد أو معارض نفس الشي، ناطر إي فرصة ليطلع ويفرض آراءه على غيرو ويعتبر الكل حمير

إلا هو الصح والفهمان ويصرخ إي شعار بيسمعه شو ما كان ويعيده، انسان باحث عن انتماء مفقود منذ زمن طويل تدمر فيه مفهوم الوطن وربط بالأشخاص.

هي فترة وبتمضي لبين ما كل شخص يطالع نتاج الكبت الطويل ولبين ما الناس تفهم بعضها وتفهم انه مو غلط يكون في اسلاميين وعلمانيين ووسطيين واشتراكيين وشيوعيين بنفس البلد وانه مو نحنا اول بلد فيها تنوع طائفي وانه في حلول دايما لضمان حقوق الجميع.

الشي الوحيد يلي مندعي انه ننفد منه هو السلاح باید إي شبيح كان لانه السلاح بايد الشبيح بغض النظر إذا كان شبيح مؤيد أو معارض فالسلاح باید الشبيح بيجرح وبيقتل وبيهدم.

بدنا نخلص من مرحلة الهدم لمرحلة البناء.

هُنا دِمَشق

■ سيامند حسين

(يوميات ومشاهدات) 15 شباط 2013

في دمشق، لوحات الإعلانات في الشوارع والمواقف تتماهى مع الجريمة المتفشّية بلا وجهة، وتُغالي في وقعها على أبصار عابرين يُشيح بعضهم برأسه نُفوراً، ويَتغلل آخرون على مقربة منها سخرية تخرج من قلوبهم المحتقنة بالحزن. عباراتٌ مُستنبطة من كبرياء متعفن لحزب متعفن، في إنشائه الرديء المَصُوغ من مفرداتٍ بقيت تحوم في جوار قبور المعلمين الأوائل؛ عباراتٌ مُنعّمة أحياناً بعامية تُقتعل خفة أو طمأنينة؛ عباراتٌ رنّانة، تُلطخ الإرث التاريخي على مرأى الرُكام وفي ظل نهب وتهريب مُحلّيْن. جميعها تنجح في استدراج المزيد من رمّاديين ومُتقلبين تعلقتْ أذانهم بكلمة مفصلية، نطقت بها المعارضة أخيراً، تتّسقُ مع شتّى المخاوف والمصالح لديهم.

* * *

«سورية بلدي. الحملة الوطنية لحماية آثار سورية»، إحدى اللوحات لهذه الحملة كانت زُيّنت بتمثال إيكوماشاغان (تل الحريري - ماري القديمة، دير الزور)، وبرزت عليها عبارة، لا يُعرف حقيقة: إن كانت تُزيّف يقظة لضمائر سائقي الدبابات وقوّاد المدفعيات الذين كوّموا خراباً، بقذائف مهجورة بتصريح من القائد، عشرات المعالم القديمة من مساجد وكنائس وأسواق عريقة، انتهاكات لم تُدنها سوى كاميرات الهواتف النقالة المرتجفة، وتقاريرُ لاهثة ألقاها متأسّفون سريعاً؛ أمْ كانت تضربُ بسوط من حرير ناعم على أيدي الشبيحة التي امتدت بالسطو المشروع على أكثر من عشرة متاحف أثرية في مختلف المحافظات، لتثنيهم عن مزيد من النهب: «لا مستقبل لنا دون ماضٍ، معاً لحماية آثار سورية.. ».

أما الجزء الأول منها، فيهزأ من بديهية شعب لم يتعرّض يوماً لماضيه حتى الأسود منه، ويمرّ بلا اكتراث على واقع حاضر يُغيّبُه. أيُّ استعطافٍ مثير للتهكم تنطوي عليه جديّة باذخة في كلمة "معاً" هذه!

(اختيارك للصحراء زنوبيا، تحسدُك عليه الحضارات والديانات! اصمدي أيتها الحجارة، والتيجان، والمقابر، ريثما يزول الكابوس عن عيوننا).

* * *

«سوريا تتحاور. قريباً.. على الفضائية السورية». نعم قريباً، فأنت متشوقٌ لدراما تُعيدك لأيام مقالب دريد لحام وكوميديا بقية الانتهازيين ممن انكبوا على البوق الكبير ينظفونه بأكمام معاطفهم المُقدّمة من خزائن المافيا. لِمَ العجلة! أنت لم تتضايق يوماً ولم تشكُ ولم تتذمرْ. لا تأبهْ، حتى وإن كنت، في اللحظة التي تقرأ فيها هذه العبارة الرسمية المفوّضة من رأس النظام بغزو الشوارع كالجراد وقلع العيون كالمخارز، تسمعُ أصوات القصف المختلطة بهدير السوخوي والميغ، التي تُحلق فوق رأسك منخفضةً وكأنها تُحيّيك على شجاعتك المباركة؛ أو كنت تتحسّسُ بقدمك مدهوشاً آثارَ المجنزرات على الزفت وأحجار الرصيف وتقفُ كمن يُخمّن وزنها الثقيل بالأرطال لا بالأطنان، رغبةً في التهرّب وإضاعة الوقت؛ أو تشمّ رائحة الحريق المندلع في أحد الأحياء البعيدة، وقد سبقه دمارٌ خلّفته أسطوانة حُشيتْ ببارود، وأسمدة، وبودرة ألومنيوم، وورولمانات مهترئة، وقطع من حديد البناء، وأدوات كهربائية معطلة، وبكل ما وقع تحت أيدي مُعديها من خردة، ثم سُدّ أسفلها بقاعدة جرة غاز قديمة، لتُلقى بلا هدف من الهيليكوبتر وتمزق الإسمنت والحجر، ثم تتذكر أن رائحة الشواء أيضا كانت تشبه هذه، فتتجاهل الأمر؛ أو كنت تشاهد سيارات (الدبل كبين) مثبتة عليها رشاشات الـ BKC الشهيرة، وقد حُشرَ في صندوقها، حتى التُخمة، شبيحة من كل الأشكال المقزّزة والمخيفة في آن، يهتفون بلغَطٍ لا تلقط منه سوى ما يبدو لك "..نشرب دم"، ثم تحترزُ بعينك ما جعلهم منتشين هكذا، ودون أن تعير ذلك اهتماماً تحكّ رأسك وتمضي. دولتك العظيمة التي تفرض الشروط على طاولة حوار منصوبة كخيمة في الهواء، تحيط بها كراسي وثيرة يغوص فيها المفاوضون الحكماء: «التزام كل المجموعات المسلحة بوقف فوري للعنف. التزام الجيش والقوات المسلحة بوقف العمليات العسكرية إلا في حالات الدفاع عن النفس وعن المواطنين والممتلكات.. »، لا تهتم ولا تفكر أن دولتك تتحايل على حقيقة خسارة مّا أمام العصابات المسلحة، أو أنها تُفاوض عن ضعف لأنها غير قادرة على حماية البلد، فهذا غير صحيح. على الرغم من أن سنتين مرّتا على "الأزمة" فهذا لا يعني أن قائدك لا يملك المزيد من الأسلحة ليأتي على كل سوريا حرقا كما وعد. لا تقلقْ. انتهى الفاصل الإعلاني، اذهبْ، فمسلسل التاسعة والنصف يستأنف الآن على الفضائية.

* * *

«ساعدني رمم مدرستي» بعد أن تضرّرت بسبب الأعمال الإرهابية التي قامت بها عصابات النظام العميلة دون أن تُفرق بين مدرسة ابتدائية، وثكنة عسكرية شديدة التحصين للعصابات المسلحة! ما هكذا تُطلق الحملات يا هيئة شؤون الأسرة السورية وملحقاتها من فروع المخابرات المدنية.

لم يكن استهداف المدارس، سوى أحد وجوه انتقام النظام الممنهج من أطفال درعا، وأقرانهم في كل القرى والمدن. لا يخاف الطفل الذي تعلم الحرية في يوم واحد، يُزاحمُ أصدقاءه بابتسامته الشقيّة أمام العدسات، هاتفاً بإسقاط الطاغية ورافعاً لافتات تسخر من رقبته الطويلة، ويرسم بأصبعيه علامة نصر تقود النظام، بكل أركانه، إلى جنونٍ تليه نقمة، ثم عنف، فدمار.

عموماً، ليس في جيوب الناس الآن، ما يكفي لشراء الطلاء اللازم لمحو العبارات المُمجّدة للقائد - الإله، والمهدّدة بحرق البلد، والمسيئة للأخلاق، التي دنّس بها الشبيحة الجدرانَ؛ ولا ما يكفي لشراء مقاعد خشبية جعلتها الشظايا قطعاً صغيرة، استحال بعضها فيما بعد، حطباً يُقارَع به البرد؛ ولا لإصلاح النوافذ التي اختفت ملامحها، وتداخلت مع فتحات أخرى أتتْ بها قذائف الهاون من بعيد؛ لكن الجميع شاركوا في شراء مكانس ليكسحوا بها، عن أرضية القاعات، آثار أقدام من اعتدوا على الطفولة، وانتزعوا من أصحابها الأطفال حقهم في ارتياد المدرسة، وخنقوا رغبتهم الصغيرة في اقتناء دفتر جديد أو ألوان شمع جديدة. باختصار، ليس عند الناس ما يقدمونه لكي تتربّع صورة الديكتاتور فوق السبورة من جديد، بعد أن سقطت مرة مع الأبواب والزجاج وقشور السقف، فيعود شبحه ليُخيف بعينيه الجامدتين نفوس الأطفال، ويقبعَ كالجلاد في ممرات السجن، يمنع عنهم الحرية كل صباح. في خيال الطفل أستوطنتِ الشجاعة، ونُقشتْ على أيامه، بصرامة الذاكرة الحادة، أسماءُ وعبارات لا تزول.

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (49135)

دمشق: 3579
ريف دمشق: 10815
حمص: 8174
درعا: 4298
إدلب: 6168
حلب: 7280
دير الزور: 3360
الرقة: 408
السويداء: 39
حماة: 3734
اللاذقية: 716
طرطوس: 73
الحسكة: 258
القنيطرة: 127

3533 عدد الأطفال الذكور
1545 عدد الأطفال الإناث
3229 عدد الإناث
9132 عدد العسكريين
40003 عدد المدنيين

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 16 / 2 / 2013
http://vdc-sy.org